

وميض من الحرم

خطب ومواعظ من المسجد الحرام

- المجموعة الثانية -

بقلم

سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم
إمام وخطيب المسجد الحرام

دار الوطن

الرياض - شارع المنذر - ص.ب. : ٣٣١٠

٤٧٩٢٠٤٢٥ - فاكس : ٤٧٦٤٦٥٩

وَمِنْ مَنَازِلِ الْعَمَلِ

خطب ومواعظ من المسجد الحرام

(٢)

دار الوطن للنشر، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشريم، سعود بن إبراهيم .

وميض من الحرم . - الرياض .

٢٠٨ ص : ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٢-٦٥-٢٨-٩٩٦٠ (ج٢)

٢- الوعظ والإرشاد

١- الخطب الدينية

أ- العنوان

١٧/٠٨٥٧

ديوي ٢١٥،١

رقم الإيداع: ١٧/٠٨٥٧

ردمك: ٢-٦٥-٢٨-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والسلام على خاتم النبيين وقائد
الغر المحجلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان واقتفى أثرهم إلى يوم
الدين

أما بعد:

فهذه هي المجموعة الثانية من الخطب التي ألقيتها من على منبر المسجد
الحرام، بدائي أن أخرجها مطبوعة ليستفيد منها الخطيب والمستمع
والقارئ، عليها أن تكون من العلم النافع الذي لا ينقطع أثره بعد الممات .

وبما أنني سبق وأن وعدت في مقدمة المجموعة الأولى على أن أصدر
المجموعة الثانية بالحلقة الثانية من « خواطر بين يدي الخطيب »؛ فها أنذا أنجز
- بحمد الله - ما وعدت به لأضع خمسة عشر خاطراً في مقدمة هذه المجموعة
وهي عبارة عن جهد المقل، وإفراز لمسائل كانت تدور بخلي فترجمتها
كتابياً من خلال هذه المجموعة التي أسأل المولى جل وعلا أن يجعلها سبباً
في المثوبة والعلم النافع والعمل الصالح إنه سميع مجيب، ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبي ونعم الوكيل .

قاله مقيدہ

سعود بن إبراهيم الشريم

مكة ١ / ١٤١٧ هـ

خواطر بين يدي الخطيب

« الحلقة الثانية »

هذه الخواطر ما هي إلا إشارات مختصرة لمسائل شرعية تخص الخطيب، ربما غفل عنها البعض؛ إما جهلاً منهم، أو تكاسلاً، أو ما علق بأذهان بعض الخطباء من أن الخطبة الشرعية هي ما اعتاده الناس في هذا الزمان دون النظر إلى أصل بعض المسائل المختصة بخطيب الجمعة؛ فلأجل ذا جمعت في هذه الحلقة خمسة عشر خاطراً، أرى أن عرضها من الفوائد التي لا يستغني عنها الخطيب وإن كان بعضها من مسائل الاجتهاد القابلة للأخذ والرد بين أهل العلم.

كما لا يفوتني أن أنبه إلى أنه لا يلزم أن تكون هذه الخواطر راجحة عندي شرعاً بقدر ما أنني إنما أوردتها للفائدة أولاً وأخيراً، وبالله التوفيق.

١ - اتخاذ العصا للخطيب:

جاء في ذكر العصا للخطيب روايات متعددة؛ منها: ما رواه الشافعي في الأم عن إبراهيم عن ليث بن أبي سلمة عن عطاء مرسلاً « أنه ﷺ كان يعتمد على عزته اعتماداً » .

قال الحافظ في التلخيص: وليث ضعيف.

ومنها: ما رواه أبو داود في سننه من حديث الحكم بن حزن الكلبي . . . الحديث وفيه: « شهدنا الجمعة معه، فقام متوكئاً على عصي أو قوس . . . الحديث » .

قال الحافظ في التلخيص: إسناده حسن، وقد صححه ابن السكن وابن خزيمة، وله شاهد من حديث البراء بن عازب عند أبي داود بلفظ:

«أن النبي ﷺ أعطي يوم العيد قوساً فخطب عليه» .

قال الحافظ في التلخيص : وطوَّه أحمد ورواه الطبراني وصححه ابن السكن . اهـ .

قال سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز في دروسه على بلوغ المرام في حديث الحكم بن حزن ما نصه : الحديث يدل على شرعية الاتكاء على عصا أو قوس في الخطبة ؛ لأن هذا من شأنه ﷺ ، ولعل السر في هذا - والله أعلم - أنه أجمع لليدين وأجمع للقلب من الحركة ، وأقرب إلى الإقبال على الخطبة .

وقال حفظه الله عن الحديث : إسناده حسن ، ورواه أحمد أيضاً ، وجاء في الباب آثار أخرى فيها مقال ولكنها تشهد لهذا المعنى . اهـ .

قلت : وما قاله الشيخ حفظه الله تعالى قاله الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية رحمه الله حيث قال ما نصه : فكونه معتمداً على قوس أو عصا هو السنة . اهـ .

وقد اختار مشروعية العصا جمع من أهل العلم وبه قال الصنعاني في السبل ، والشوكاني في نيل الأوطار .

وذهب ابن القيم إلى خلاف ذلك حيث قال في زاد المعاد ما نصه : ولم يكن يأخذ بيده سيفاً ولا غيره ، وإنما كان يعتمد على قوس أو عصا قبل أن يتخذ المنبر . . . إلخ . إلى أن قال : فإنه لا يحفظ عنه بعد اتخاذ المنبر أنه كان يرقاه بسيف ولا قوس ولا غيره . اهـ .

قلت : ولا أدري ما هو الدليل على ما ذكره ابن القيم من التفريق بين ما كان قبل اتخاذ المنبر وبين ما كان بعده ، فربما اطلع على دليل لم أجده حسب البحث القاصر . والله أعلم .

وكان رحمه الله قد أشار في أول كتابه الزاد في فصل هديه ﷺ في الخطبة بما نصه: وكان إذا قام يخطب أخذ عصاً، فتوكأ عليها وهو على المنبر، كذا ذكره عنه أبو داود عن ابن شهاب، وكان الخلفاء الثلاثة بعده يفعلون ذلك . اهـ.

ولم يفصل رحمه الله، كما فصل في الموضوع السابق ذكره، والتفصيل متأخر عن كلامه في أول كتابه فيكون هو المعتمد عنده، ويحتمل أن يكون كلامه رحمه الله هناك هو المعتمد على أنه لا فرق بين قبل اتخاذه المنبر أو بعد اتخاذه المنبر بدليل استمرار فعل الخلفاء الثلاثة من بعده. قلت: وقد قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين في دروسه على زاد المستقنع: إنه إذا احتاج: العصى فإنه يشرع له ذلك وإن لم يحتج إليها فلا. والله أعلم.

٢ - استحباب قول: [أما بعد] في الخطبة:

ذهب جماعة من المحققين إلى استحباب قول الخطيب بعد الحمد والثناء: «أما بعد»؛ وذلك تأسياً بالنبي ﷺ وقد أشار إلى ذلك ابن القيم، وبه قال النووي والحافظ ابن حجر والصنعاني والشوكاني وجماعة، وقد عقد البخاري في صحيحه باباً في استحبابه فقال: باب من قال في الخطبة بعد الثناء: «أما بعد». وذكر فيه جملة من الأحاديث. قال الصنعاني في السبل: وظاهره أنه ﷺ كان يلازمها في جميع خطبه. اهـ.

قال سيويه: «أما بعد» معناها مهما يكن من شيء بعد. وقال أبو إسحاق الزجاج: إذا كان الرجل في حديث فأراد أن يأتي بغيره قال: أما بعد. وهو مبني على الضم؛ لأنه من الظروف المقطوعة عن الإضافة.

قلت: وقد اختار ابن مالك ما ذهب إليه سيويه فقال في الخلاصة:

أما كمهما يكن من شيء وفا لتلو تلوها وجوباً ألفاً

وقد اختلف أهل العلم في أول من قالها فقيلاً : داود عليه السلام ،
فيما رواه الطبراني عن أبي موسى الأشعري ، وفي إسناده ضعف ؛ كما
قال الحافظ في الفتح .

وقيل : إنه يعقوب عليه السلام ، رواه الدارقطني بسند رواه في غرائب
مالك كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر . وقيل غير ذلك .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : والأول أشبه . اهـ . يعني داود عليه
السلام ، وعلى هذا جماعة من المفسرين .

٣ - افتتاح الخطب :

سار جماعة من الخطباء على صيغة يُنكرها كثير من الفقهاء المحققين ،
ألا وهي افتتاح خطبة الاستسقاء بالاستغفار ، وخطبة العيدين بالتكبير .

وقد رد ابن القيم رحمه الله في الزاد على من فعل مثل ذلك بقوله :
وكان لا يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله . وأما قول كثير من الفقهاء : إنه
يفتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار ، وخطبة العيدين بالتكبير ؛ فليس معهم
فيه سنة عن النبي ﷺ البتة ، وسنته تقتضي خلافه وهو افتتاح جميع الخطب
بـ « الحمد لله » وهو أحد الوجوه الثلاثة لأصحاب أحمد ، وهو اختيار شيخنا
قدس الله سره . اهـ .

وقال سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز في درسه على بلوغ
المرام ما نصه : أما ما يروى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة مرسلأ « أنه بدأ
الخطبة بالتكبير تسع تكبيرات » فليس في الأحاديث الصحيحة ما يدل عليه
بل هو مرسل . والأفضل البدء بالحمد لفعل النبي ﷺ . اهـ .

قلت : وهو اختيار العلامة محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية .
ولكن يشرع الإكثار من التكبير في خطبتي العيدين لما روى ابن ماجه في
سننه عن سعد « أنه ﷺ كان يكثر التكبير أضعاف الخطبة ، ويكثر التكبير في

خطبتي العيدين»، قال ابن القيم في الزاد: وصوبه شيخ الإسلام . اهـ .

٤ - السنة القبلية للخطيب وغيره:

اختلف أهل العلم هل للجمعة سنة قبلية أم لا؟ على قولين: أصحابهما: وهو الذي دلت عليه السنة، أنه لا سنة لها قبلها، وهذا هو مذهب مالك وأحمد في المشهور عنه، وأحد الوجهين لأصحاب الشافعي؛ لأن النبي ﷺ كان يخرج من بيته فإذا رقي المنبر أخذ بلال في الأذان.

قال ابن القيم: ومن ظن أنهم كانوا إذا فرغ بلال رضي الله عنه من الأذان قاموا كلهم فركعوا ركعتين فهو أجهل الناس بالسنة . اهـ .

قلت: وقد احتج بعض أهل العلم على سنية ركعتين قبل الجمعة للخطيب وغيره بما ذكره البخاري في صحيحه فقال: باب الصلاة قبل الجمعة وبعدها . ثم ساق بسنده عن ابن عمر « أن النبي ﷺ كان يصلي قبل الظهر ركعتين ، وبعدها ركعتين ، وبعد المغرب ركعتين في بيته ، وقبل العشاء ركعتين ، وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلّي ركعتين » .

قال ابن القيم: لم يقع ذكر الصلاة قبل الجمعة في هذا الحديث؛ فلعل البخاري أراد إثباتها قياساً على الظهر . اهـ .

وقال أيضاً عن حديث ابن عمر: وهذا لا حجة فيه، ولم يرد البخاري إثبات السنة قبل الجمعة، وإنما مراده أنه هل ورد في الصلاة قبلها أو بعدها شيء؟ ثم ذكر هذا الحديث . أي إنه لم يرو عنه فعل السنة إلا بعدها ولم يرد قبلها شيء . اهـ .

قلت: ومن الناس كالنووي وغيره من احتج بما رواه أبو داود وابن حبان عن نافع قال: « كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته ، وحدث أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك » .

وقد أجيب عن هذا بأن قوله : إن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك : أي أنه كان يصلي الركعتين بعد الجمعة في بيته لا في المسجد . ولم يرد أن صلاته قبل الجمعة كانت من فعل النبي ﷺ .

قال ابن القيم : وأما إطالة ابن عمر الصلاة قبل الجمعة فإنه تطوع مطلق وهذا هو الأولى لمن جاء إلى الجمعة أن يشتغل بالصلاة حتى يخرج الإمام ؛ قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « من اغتسل يوم الجمعة ثم أتى المسجد فصلى ما قدر له ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته ، ثم يصلي معه غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام » [رواه مسلم] .

قال الحافظ ابن حجر : ورد في سنة الجمعة التي قبلها أحاديث أخرى ضعيفة .

٥- السنة البعدية للخطيب وغيره، وكم عددها وأين تصلى :

روى الجماعة إلا البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربع ركعات » .

وروى الجماعة أيضاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما « أن النبي ﷺ كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته » .

وروى أبو داود في سننه عن ابن عمر رضي الله عنهما « أنه كان إذا كان بمكة فصلى الجمعة تقدم فصلي ركعتين ، ثم تقدم فصلي أربعاً ، وإذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع إلى بيته فصلي ركعتين ، ولم يصل في المسجد ، ف قيل له في ذلك ، فقال : كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك » .

قال العراقي : إسناده صحيح . اهـ . وقد سكت عنه أبو داود والمنذري كما حكى ذلك الشوكاني في نيل الأوطار .

قلت : هذه الأحاديث الثلاثة نتج عنها أقوال ثلاثة في السنة البعدية للجمعة :

* فقال قوم: إن سنة الجمعة البعدية أربع ركعات منفصلة، ومن قال بذلك : ابن مسعود والنخعي وأصحاب الرأي، وكذا الشافعي ومالك وأحمد ، واستدلوا بحديث أبي هريرة السابق .

* وقال آخرون : إن سنة الجمعة البعدية ركعتان ، ومن قال بذلك : الشافعي وأحمد ، كما حكاها عنهما الترمذي وفعله عمران بن حصين .

قلت : ولكن رد العراقي على قول الترمذي بأن الشافعي وأحمد لم يريدوا بذلك إلا بيان أقل ما يستحب ، وإلا فقد استجبا أكثر من ذلك . اهـ .

ومن قال بهذا القول استدلوا بما رواه الجماعة عن ابن عمر كما سبق ذكره .

* وقال جماعة : إن السنة البعدية للجمعة ست ركعات منفصلة، ودليلهم حديث ابن عمر السابق عند أبي داود . ومن قال بذلك : علي وأبو موسى رضي الله عنهما ، وعطاء ومجاهد وحميد بن عبد الرحمن والثوري ، ونقله ابن قدامة رواية عن أحمد أنه قال : وإن شاء صلى ستاً .

ونقل ابن قاسم في حاشيته على الروض عن شيخ الإسلام ما نصه : وقال الشيخ وغيره : أدنى الكمال ست . اهـ .

مما سبق يفهم أن الجميع سنة ، ولكن بعضه أكمل من بعض ، إلا أن حديث ابن عمر في الست ركعات قد أجاب عنه الحافظ العراقي بقوله : فليس في ذلك علم ولا ظن أنه ﷺ كان يفعل بمكة ذلك ، وإنما أراد رفع فعله بالمدينة فحسب ؛ لأنه لم يصح أنه صلى الجمعة بمكة ، وعلى تقدير وقوعه بمكة منه فليس ذلك في أكثر الأوقات بل نادراً . اهـ .

قلت : وقول العراقي له وجه قوي من النظر .

وأكثر الخلاف دائر على الأربع والثلثين؛ إذ فيهما القولان، وقد جمع بعض أهل العلم بين القولين: على أن الأربع إذا صلاها في المسجد، والثلثين إذا صلاها في بيته. جمعاً بين الروايات. ومن أفتى بذلك شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم حيث قال في الهدى: قال شيخنا أبو العباس ابن تيمية: إن صلى في المسجد صلى أربعاً، وإذا صلى في بيته صلى ركعتين. قلت: وعلى هذا تدل الأحاديث، وقد ذكر أبو داود عن ابن عمر أنه كان إذا صلى في المسجد صلى أربعاً، وإذا صلى في بيته صلى ركعتين. اهـ.

قلت: ذكر محقق الهدى أن إسناده قوي.

وقد اختار سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز في دروسه على بلوغ المرام ما نصه: إن أقلها اثنتان وأكثرها أربع، ولا فرق بين أن يصلها في البيت أو في المسجد، وهذا القول أظهر؛ لأن القول مقدم على الفعل، ولأنه يحتمل أن يكون فعله للتخفيف، أو أن هذا قبل أن يأمر بالأربع؛ فالأولى والأظهر هو هذا القول جمعاً بين الأدلة. اهـ كلامه بتصرف يسير.

٦- رفع الصوت في الخطبة:

كتب بعض المؤلفين كتباً صدروها بوصايا للخطباء كطريق للخطيب الناجح وقد أفلحوا في بعضها وأخطأوا في البعض الآخر؛ وهو كثير نظراً لاعتمادهم على كتب غريبة في وصف الخطيب الصيت الناجح، ولم يراعوا في ذلك ما كان من هديه ﷺ، فكان مما فيها، استنكار رفع الصوت في الخطبة أو الانفعال فيها وأن ذلك تشنج يثير المستمعين ويذهب بجمال الخطبة وحيويتها.

ولاشك أن هذا خطأ واضح لم يكن لقائله نصيب من سنة المصطفى ﷺ وهدية في خطبته؛ حيث إنه ثبت عنه ﷺ في صحيح مسلم «أنه كان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش ثم ل: «صبحكم ومساكم...» الحديث.

وفي لفظ عند مسلم: « يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله، ثم يقول على إثر ذلك وقد علا صوته . . . » فذكره.

فيتين لك أيها القارئ مما سبق ذكره، أن رفع الصوت والحماس في الخطبة كان من هديه ﷺ وهو من الأمور التي لها وقع في قلوب المستمعين، مع ملاحظة أن رفع الصوت وعلوه هنا لا يراد به الصراخ المفزع الذي يذهب بجمال الخطبة ووقعها في نفس المستمع، والله أعلم.

٧- قراءة سورة « ق » وهل تقرأ في كل جمعة أم لا :

ثبت عند مسلم في صحيحه من حديث أم هشام بنت حارثة رضي الله عنها قالت: « ما أخذت ﴿ قَ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ ﴾ [ق: ١]، إلا عن رسول الله ﷺ يقرأها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس ».

ولقد اتفق أهل العلم على مشروعية قراءة سورة « ق » على المنبر في خطبة الجمعة. بل ولقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك حيث قالوا بمشروعيتها في كل جمعة، ومن ذهب إلى ذلك النووي والصنعاني وغيرهما.

قال النووي عن حديث أم هشام: وفيه استحباب قراءة « ق » أو بعضها في كل خطبة.

قلت: ووجه الدلالة على أن المراد عموم الجمع. أن لفظة « جمعة » نكرة في سياق الإثبات وهي لا تفيد العموم، ولكنها أفادت العموم في هذا الحديث بدخول لفظة « كل » عليها.

ولكنني أقول: إن هذا الحديث هو من العام المخصوص؛ بدليل أنه ثبت عنه ﷺ أنه خطب خطباً كثيرة ليس فيها ذكر سورة « ق ».

فقد روى أحمد وابن ماجه بإسناد حسن أن رسول الله ﷺ قرأ يوم الجمعة «تبارك، وهو قائم . . .» الحديث.

وروى أبو داود في سننه عن أبي سعيد قال: «قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر ﴿ص﴾، فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه» قال العراقي: وإسناده صحيح. اهـ نقل ذلك الشوكاني في نيل الأوطار.

وقال الشوكاني بعد ذكر أحاديث كثيرة لا تخلو من مقال في قراءة سورة من القرآن على المنبر ما نصه: والظاهر من أحاديث الباب أن النبي ﷺ كان لا يلزم قراءة سورة أو آية مخصوصة في الخطبة، بل كان يقرأ مرة هذه السورة ومرة هذه، ومرة هذه الآية ومرة هذه. اهـ. والله أعلم.

٨ - لفظة - سيدنا محمد - في الخطبة :

اعتاد بعض الخطباء الإكثار من لفظ: اللهم صل على سيدنا محمد. والحاصل أن لفظة - سيدنا - لم ترد في الصلاة عليه ﷺ. ولكن لو قال بعضهم: وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله؛ لكان أخف من الأول؛ لأنه ليس من باب الصلاة عليه إنما هو من باب الشهادة والإخبار.

وهذا الأمر الثاني، يعترضه أمران:

الأمر الأول: جوازه على الإطلاق لقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» [رواه مسلم].

الأمر الثاني: أن النبي ﷺ قيل له: أنت سيدنا. فقال: «السيد الله تبارك وتعالى» [رواه أبو داود بسند جيد] وأقل أحوال هذه المسألة الجواز.

وقد سئل العلامة محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية رحمه الله، عن الإتيان بها في الصلاة عليه ﷺ فقال ما خلاصته: لا يخفى أن الاختصار على ما ورد في الأحاديث وما جاء عن سلف هذه الأمة وأئمتها أولى وأفضل وأكمل، لا سيما إذا كان ذلك في نفس الصلاة، فلا ينبغي أن يأتي في الصلاة بألفاظ غير ما ورد. فإن كان خارج الصلاة فهو أيسر، وتركه

أولى على كل حال . ثم قال رحمه الله : ومن قالها فلا ينهى عنها نهياً مطلقاً ، بل يرغب بما هو الأفضل . . . إلخ . اهـ ، والله أعلم .

٩ - الأركان الأربعة في الخطبة:

سئل العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله عن حكم اشتراط الأركان الأربعة في كل من الخطبتين ؛ (ويقصد بالأركان الأربعة : الأول : الحمد والثناء على الله . الثاني : الصلاة على رسول الله ﷺ . الثالث : الوصية بتقوى الله . الرابع : قراءة آية من القرآن) .

فأجاب الشيخ رحمه الله : اشتراط الفقهاء الأركان الأربعة في كل من الخطبتين فيه نظر ، وإذا أتى في كل خطبة بما يحصل به المقصود من الخطبة الواعظة المليئة للقلوب فقد أتى بالخطبة ، ولكن لا شك أن حمد الله ، والصلاة على رسول الله ﷺ ، وقراءة شيء من القرآن ؛ من مكملات الخطبة وهي زينة لها . اهـ .

قلت : اعلم أن من قال بالأركان الأربعة هم الشافعية والحنابلة . ومن لم يقل بها هم الحنفية والمالكية . والعلم عند الله تعالى .

١٠ - الجمع بين الجمعة والعصر للمطر:

الأصل في هذه المسألة هو الخلاف في الجمع بين الصلاتين لعذر المطر ، وحاصل الأقوال في ذلك هو عدم جواز الجمع بين الصلاتين مطلقاً إلا يوم عرفة عند الحنفية .

وعند المالكية يجوز التقديم في المطر لمن يصلي المغرب والعشاء دون غيرهما كالظهر والعصر .

وعند الشافعية جواز الجمع بين الصلاتين ؛ سواء بين الظهر والعصر أو

المغرب والعشاء .

وعند الحنابلة روايتان : إحداهما : لا يجوز إلا بين المغرب والعشاء ،
وحكى ابن قدامة أن أحمد سئل عن الجمع بين الظهر والعصر في المطر ،
قال : لا ، ما سمعت .

وذكر صاحب الإفصاح أنه يجوز الجمع بين الظهر والعصر للمطر وذكر
أنها رواية عن أحمد ، وقال : إنها هي المذهب .

قلت : وبالنظر إلى علة الجمع وهي رفع المشقة ، فإنها دالة على وجودها
في الظهر والعصر والمشقة تجلب التيسير ، لا سيما وأن لهذه المسألة أصلاً
وهو حديث ابن عباس في الصحيحين « صلى رسول الله ﷺ الظهر
والعصر والمغرب والعشاء جمعاً من غير خوف ولا سفر » قيل لابن عباس :
لم فعل ذلك ؟ قال : أراد ألا يخرج أمته . اهـ .

وصح في سنن أبي داود من حديث ابن عباس : « من غير خوف ولا مطر » .

والعجيب من هذا : أن مالكا رحمه الله قال بعد حديث ابن عباس : أرى
ذلك في المطر . ومع ذلك فهو لا يرى الجمع للمطر إلا بين العشاءين فقط
دون الظهرين . فتنبه .

وخلاصة المسألة : أن الصحيح فيها إن شاء الله تعالى ، الذي دلت عليه
النصوص ، ودل عليه النظر : هو جواز الجمع بين الظهر والعصر للمطر ؛
لأن تجويزنا الجمع بينهما بدون مطر ولا سفر ولا خوف كما في الحديث
السابق يلزمنا أن نجيزها لواحد من هذه الأعذار . فما موجب التفريق بين
الظهرين والعشاءين ؟

أما حجة من قصرها على العشاءين بأنه لم يثبت عن النبي ﷺ إلا

ذلك ، فإن هذا لا يعني أن حديث ابن عباس لم يدل عليها .

قال شيخ الإسلام عن حديث ابن عباس السابق : وبهذا استدل أحمد على الجمع لهذه الأمور بطريق الأولى ؛ فإن هذا الكلام يدل على أن الجمع لهذه الأمور أولى ، وهذا من باب التنبيه بالفعل فإنه إذا جمع ليرفع الحرج الحاصل بدون الخوف والمطر والسفر ، فالحرج الحاصل بهذه أولى أن يرفع ، والجمع لها أولى من الجمع لغيرها .

بقي عندنا حكم الجمعة مع العصر للمطر ، وقد جوز ذلك الشافعية كقولهم في الظهر ، بخلاف الأئمة الثلاثة . والصواب إن شاء الله هو ما اختاره الشافعية لوجود العلة المقتضية للجمع . ولا يلزم من عدم ذكر الجمعة في حديث ابن عباس أنها غير داخلية ، ولا يؤثر فيها على الصحيح خلاف أهل العلم في كونها ظهراً مقصورة أو هي صلاة مستقلة بذاتها ، والمعنى العام للجمع بين الصلاتين هو وضع إحداهما في وقت الأخرى وهذا حاصل بالجمعة . ثم إن الذين لم يجوزوا الجمع بين الظهرين للمطر ، نلزمهم بوجود المشقة في الظهرين كما هو الحاصل في العشاءين . ويتج عن هذا الإلزام ، إلحاق الجمعة بهما في الحكم ، والله أعلم .

١١ - القنوت للنوازل في الجمعة :

ثبت في الصحيحين من حديث أنس أن النبي ﷺ « كان يقنت في صلاة الفجر والمغرب » .

وثبت عند أحمد وأبي داود من حديث ابن عباس « قنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعاً في الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح » .

فهل الجمعة تدخل في هذا أم لا ؟ الجواب أنه مبني على مسألة الجمعة هل هي ظهر مقصورة أو صلاة مستقلة بذاتها ؟

والأحاديث لم تشر إلى الجمعة، وقد لا يصح قياس هذه المسألة على مسألة الجمع بين الصلاتين؛ فالعلة موجودة في الظهر والجمعة، ولكن الجمعة تفارق الظهر بكونها فيها خطبة والقنوت إنما هو دعاء.

فلعل الأظهر أنه يكفي بالدعاء أثناء الخطبة لحصول المقصود. لكن هناك حديث رواه الطبراني في الأوسط عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ كان لا يصلي صلاة مكتوبة إلا قنت فيها. اهـ.

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رجاله موثوقون. قال ابن القيم في الزاد عن إسناد هذا الحديث ما نصه وهذا الإسناد وإن كان لا تقوم به حجة، فالحديث صحيح من جهة المعنى؛ لأن القنوت هو الدعاء، ومعلوم أن رسول الله ﷺ لم يصل صلاة مكتوبة إلا دعا فيها. اهـ.

قلت: إن ثبت حديث الطبراني هذا فهو حجة في جواز القنوت للنازلة في صلاة الجمعة لدخول الجمعة في كونها صلاة مكتوبة، إذا إن نص الحديث: «لم يصل صلاة مكتوبة... الحديث» والله أعلم.

١٢ - إذا وافق يوم الجمعة يوم عيد:

ثبت عند ابن ماجه وغيره من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «اجتمع لكم في يومكم هذا عيدان فمن شاء أجزأه من الجمعة، وإنا مجمعون»

وهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم على ثلاثة أقوال، والصحيح منها، وهو الذي اختاره جماعة من المحققين، وهو اختيار شيخ الإسلام رحمه الله: أن من شهد العيد سقطت عنه الجمعة. وقال شيخ الإسلام: لكن على الإمام أن يقيم الجمعة ليشهدا من شاء شهودها ومن لم يشهد العيد.

١٣ - سلام الخطيب على المأمومين:

استحب جهور أهل العلم كابن عباس وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز والأوزاعي والشافعي وأحمد وغيرهم أن يسلم الخطيب على المأمومين إذا صعد المنبر .

وعند الشافعية يستحب له أن يسلم مرتين : الأولى : عند دخوله المسجد يسلم على من هناك ، وعلى من عند المنبر إذا انتهى إليه . والثانية إذا وصل أعلا المنبر .

ومنع أبو حنيفة السلام وقال : يكره ، وقال مالك : لا يسلم وأنكره .

قال أبو جعفر الطحاوي : لم يرو عن النبي ﷺ في ذلك شيء صحيح ، وروي فيه أحاديث ضعاف ، والقياس يمنع منه ؛ لأنه إذا تقدم للإمامة لا يسلم ، والمؤذن إذا أشرف على الناس لا يسلم ؛ فكذلك إذا صعد على المنبر .

قلت : ومما روي في السلام على المنبر ما رواه البيهقي عن ابن عمر وجابر أن النبي ﷺ « كان إذا صعد المنبر يوم الجمعة قال : السلام عليكم » . قال النووي في المجموع : وإسنادهما ليس بقوي . وضعفه ابن عدي وابن حبان ، كما ذكر ذلك الحافظ في التلخيص .

ومن ذلك ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن الشعبي قال : « كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة استقبل الناس فقال : السلام عليكم . . . الحديث » قال الحافظ : وهو مرسل . وفي الباب عن عطاء مرسلًا .

وحاصل المسألة أنه تبين لك أنه لم يصح في ذلك شيء عن النبي ﷺ كما قال أبو جعفر ، وعلى فرض الصحة ؛ فإن الأحاديث منها ما جاء فيه ذكر السلام مبهمًا ، ومنها ما فسر بقوله : « السلام عليكم » ؛ دون

ورحمة الله وبركاته، فهل يقتصر على ما ورد، أو يؤخذ بالأكمل كما في الذي صح عنه ﷺ عند أبي داود والترمذي والنسائي من حديث عمران بن حصين قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبي ﷺ «عشر» ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال: «عشرون» ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال: «ثلاثون».

وحاصل هذه المسألة أنه يظهر لي أن الأمر في ذلك واسع، وأنه وإن لم يرد بخصوص الجمعة شيء؛ فعموم الأحاديث الدالة على السلام على المسلمين تؤيد ذلك، والله أعلم.

١٤ - إقبال الخطيب بوجهه على المأمومين، وعدم الالتفات يميناً وشمالاً:

اعتاد بعض الخطباء على الالتفات يميناً وشمالاً أثناء الخطبة، أو عند الصلاة على النبي ﷺ. وقد قال القاسمي في كتابه إصلاح المساجد: ولا أصل لذلك؛ بل السنة استقبال الناس بوجهه من أول الخطبة إلى آخرها.

ونقل النووي في المجموع عن صاحب الحاوي وغيره أن هذا الالتفات باطل لا أصل له، واتفق العلماء على كراهة هذا الالتفات، وهو معدود من البدع المنكرة. اهـ.

وإن كان أبو حنيفة يرى أنه يلتفت يميناً وشمالاً في بعض الخطبة كما في الأذان؛ لكن قال النووي: هذا غريب لا أصل له. اهـ.

وقد ذكر ابن قدامة وغيره أن من سنن الخطبة أن يقصد الخطيب تلقاء وجهه؛ لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك، ولأنه أبلغ في سماع الناس، وأعدل بينهم؛ فإنه لو التفت إلى أحد جانبيه لأعرض عن الجانب الآخر. اهـ. والله أعلم.

١٥ - استحباب ذكر الخلفاء الراشدين في الخطبة:

جرت عادة أهل السنة من قديم الزمن على ذكر الخلفاء الأربعة في الخطبة، وظن بعض من لا علم عندهم أن هذا من الأمور المبتدعة، فوافقوا بذلك الشيعة الذين أنكروا ذكرهم وابتدعوا مكانها ذكر الأئمة الاثني عشرية.

وقد رد شيخ الإسلام هذا الزعم الباطل بما خلاصته:

الوجه الأول: أن ذكر الخلفاء على المنبر كان على عهد عمر بن عبد العزيز، بل روي أنه كان على عهد عمر بن الخطاب وحديث ضبة بن محصن رضي الله عنه من أشهر الأحاديث في قصة أبي موسى الأشعري الذي كان يدعو في خطبته لعمر بن الخطاب.

الوجه الثاني: أنه قد قيل إن عمر بن عبد العزيز ذكر الخلفاء الأربعة لما كان بعض بني أمية يسبون علياً فعوض عن ذلك بذكر الخلفاء والترضي عنهم ليمحو تلك السنة الفاسدة.

الوجه الثالث: أن أهل السنة لا يقولون إن ذكر الخلفاء في الخطبة فرض، بل يقولون إن الاقتصار على عليٍّ وحده أو الأئمة الاثني عشر هو البدعة المنكرة، وإن كان ذكر عليٍّ لكونه أمير المؤمنين مستحب، فذكر الأربعة الذين هم الخلفاء الراشدون أولى بالاستحباب.

الوجه الرابع: أن ذكر الخلفاء الراشدين على المنبر يوم الجمعة إنما هو تعويض عن سب من سبهم ويقدم فيهم؛ ليكون ذلك حفظاً للإسلام بإظهار موالاتهم والثناء عليهم، ومنعهم من يريد عوراتهم والطنع عليهم. اهـ.

التوحيد أولاً لو كانوا يعلمون

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ءَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران : ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِطَةٍ وَخَقَّ مِنْهَا رَوْحَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنَسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَوَالِ الرَّحَامِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء : ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١].

أما بعد :

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل ، فتقوى الله تعالى هي وصيته للأولين والآخرين ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [النساء: ١٣١] .

أيها الناس:

من أجل التوحيد بني بيت الله العتيق، الذي رفع قواعده إبراهيم خليل الرحمن وابنه إسماعيل عليهما السلام، وما برح هذا البيت العتيق، يطاول الزمان، وهو شامخ البنيان في منعة من الله وأمان، تتعاقب الأجيال على حجه، ويتنافس المسلمون في بلوغ رحابه، ففي جواره التوحيد، وفي رحابه الأمن والخير والبركة ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦] ، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦] .

لقد أرسل المصطفى ﷺ بنور ساطع وضياء لامع، أضاء به الطريق وأوضح به السبيل، طهر الله به جزيرة العرب من رجس الوثنية، وهيمنة الأصنام، وكان كبير الأصنام هبل، بأعلى مكة، وحوله ثلاثمائة وستون صنماً، كلها من الحجارة، فطعن فيها المصطفى ﷺ بيده الشريفة، حين دخوله الكعبة يوم الفتح، وهو يردد قول الله: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١] . وبعض المسلمين كان يردد يا عزى كفرانك لا غفرانك إني رأيت الله قد أهانك .

وفي الحج أيها المسلمون، معان كبيرة من معاني التوحيد، تمثلت في منع

المشركين من دخول المسجد الحرام ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ [التوبة: ٢٨].

وبعث المصطفى ﷺ سنة تسع، من ينادي: «ألا يطوف بالبيت عريان، وألا يحج بعد العام مشرك» [متفق عليه].

وتمثل التوحيد في الحج، في رفع الأصوات بالتلبية ونفي الشريك عن الله « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك » وبهذه التلبية، قضى المصطفى ﷺ على تلبية أهل الشرك، التي كانوا يرددونها إبان حجهم ويقولون: « لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك » تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

لقد تمثل التوحيد في الحج في ركعتي الطواف، حين يقرأ المسلم في أولهما بـ « قل يا أيها الكافرون»، وفي الأخرى بـ « قل هو الله أحد». كما تمثل التوحيد في الحج أيضاً، في خير الدعاء، وهو دعاء يوم عرفة حينما قال ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» [رواه الترمذي].

وتمثل التوحيد في الحج فيما شرعه الله من ذكره وحده، يوم العيد وأيام التشريق ﴿ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ كُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

أيها الناس: إن التوحيد الخالص، هو لباب الرسائل السماوية كلها، وهو عمود الإسلام، وشعاره الذي لا ينفك عنه، وهو الحقيقة التي ينبغي أن نغار عليها، ونصونها من كل شائبة ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ

اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿ [النحل: ٣٦] .

والطاغوت: هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم، من يتحاكمون إليه من دون الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ [النساء: ٦٠] . ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَقْرَبُوا لَهَا وَالطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] . ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١] .

عباد الله: على كلمة التوحيد الجليلة، بنى المصطفى ﷺ أمته، وأقام دعوته وشيد صرحها، وأنشأ جيلا يوحد الواحد الأحد، ويبرأ من كل الشركاء المزعومين، فكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) هي الحادي الذي لا يمل نداؤه، ولا يتلاشى صدها، وعندما يرددها الموحد، فهو يقصد أمرين عظيمين:

أولهما: إحقاق الحق وإبطال الباطل؛ لأن معنى الكلمة، لا معبود بحق إلا الله، فكل ما خلا الله، فهو باطل، وما هو إلا وهم عقول مختلة، أو خداع حواس معتلة.

وثانيهما: ضبط السلوك البشري، داخل نطاق هذا التوحيد الخالص المنبثق من كلمة التوحيد، المشروطة بشروط سبعة، متمثلة في العلم بمعناها وهو أنه: لا معبود بحق إلا الله، وتمثلة كذلك، في اليقين المنافي للشك، والإخلاص المنافي للشرك، والصدق المنافي للكذب، والقبول المنافي للرد، والانقياد المنافي للترك، والمحبة المنافية للبغض، وباجتماع ذلك، تتوحد العبادة بكل صورها، بحيث لا تكون إلا لله، فلا استنصار إلا بالله، ولا توكل إلا على الله، ولا رغبة ولا رهبة، ولا خوف ولا رجاء إلا بالله ومن الله، ومن ثم، يشعر الموحد من

أعماق قلبه، أن ما دون الله هباء، فلا تروعه سطوة ساط، ولا تخدعه ثروة غني، ويستحيل عنده أن يُغلب الله على أمره، أو أن يقطع شيء دونه، فالتعلق بغير الله عجز، والتطلع إلى سواه ضلال وحمق ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا﴾ [هود: ١٢٣].

ومن هنا، يظهر الفرق شاسعاً بين الموحّد وبين المشرك، فالموحّد عرف خالقه، فعبدّه حقّ عبادته، والمشرك مكفوف البصيرة، تائه عن ولي نعمته، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى.

أيها الناس: في القديم وفي الحديث، أولع بعض الناس بتعدد الآلهة وهي المعبودات، وتعدد الآلهة، خرافة هزيلة، لفظها الإسلام بقوة، ونبذها نبذ المسافر فضلة الأكال، وتتبع أوهام الناس فيها وهماً وهماً، فكشف الظلمة ودحض الشبهة، ولا عجب، فالتوحيد الخالص، شعار الإسلام الأول، في ميدان الاعتقاد والعمل، به عُرف ومن أجله حورب، وعليه دار جدل طويل بين أهل الحق وأهل الباطل ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿[الصافات: ٤، ٥].﴾ ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سِبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

إن التوحيد الخالص: هو أفضل طلبية، وأعظم رغبة، وأشرف نسبة، وأسمى رتبة، هو وسيلة كل نجاح، وشفيع كل فلاح، يُصيرُ الحقير شريفاً، والوضيع غطريقاً، يطوّل القصير ويقدم الأخير، ويُعلي النازل، ويشهر الخامل، ما شيد ملك عتيد إلا على دعائمه، ولا زال إلا على طواسمه، ما عزت دولة إلا بانتشاره، ولا زالت إلا باندثاره.

وإن معظم الشرور والنكبات، التي أصابت أمة الإسلام، وأشدّ البلايا التي

حلت بها، كانت بسبب ضعف التوحيد في النفوس، وما تسلط من تسلط من الأعداء، وتعجرف من تعجرف، وغار من غار على حياض المسلمين، واستأصل شأفتهم، واستباح حرماهم، وأيم نساءهم، ويتم أطفالهم، إلا بسبب ضعف التوحيد، وما هجم التتار على ديار الإسلام، وفعلوا بهم ما فعلوا، إلا بفقد التوحيد، بل لقد بلغ ضعف التوحيد في النفوس مبلغاً عظيماً إبان الهجوم التتري لبلاد الإسلام، حتى لقد قال بعض المسلمين من الهلع والجزع: يا خائفين من التتر لو ذوا بقبر أبي عمر، عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكم من الضرر. كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

أيها الناس: يعيش المسلمون في زمان، هرم خيره، شباب شره، نائم رشاده، صاح فساده، قليل منصفه، كثير متعسفه، أفلت فيه شمس التوحيد ونجمه، ودجا فيه ظلام الشرك وظلمه؛ فتقدم متأخره، وتأخر متقدمه، تلاعبت بأهله الأهواء، ومزقت جماعتهم النحل والآراء، ركب كل منهم هواه، وكافح عما يحبه ويرضاه؛ فاتخذ بذلك إلهه هواه، قصر فئام من الناس مع التوحيد؛ فصادموا المنقول، وخالفوا المعقول، فاخر ضلالهم بما يبرزون من الضلال، ويبدعون من الزيغ، وصار الشجاع العاقل هو المجاهر بالغرائب والمصائب، والأديب الملهم هو الداعي إلى البدع المضلة، فعظم الويل، واتسع الخرق، واغتلم الداء، وأعوز الدواء.

هم قوم أزياءهم أزياء الأناسي، وصورهم صور العقلاء، ونفوسهم نفوس العجماء، وأخلاقهم أخلاق الطير، يتهافتون على الغفلة والحطة، تهافت الفراش على النبراس، ويأرزون إلى النقيصة، أروز الدود إلى الميتة، مع قرم وجمع، واحتدام وضرم، بهؤلاء وأمثالهم، ولدت أم الغباء، وعقمت أم الذكاء ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا

يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾
[الأعراف: ١٧٩].

لقد ابتلي كثير من الناس بالجهل بالتوحيد؛ فانحازوا إلى أصحاب القبور، والتجأوا إليهم، وتضرعوا أمام أعتابهم، فقبلوها وتمسحوا بها، واستغاثوا بأهلها في الشدائد والكروب، بل لقد كثر مروجوها والداعون إليها، من قبوريين ومخرفين، الذين يخترعون حكايات سمجة عن القبور وأصحابها، وكرامات مختلقة، لا تمت إلى الصحة بنصيب، والذين ينشدون القصائد الطافحة بالاستغاثات والنداءات، التي لا تصلح إلا لفاطر الأرض والسماوات، بل لقد طاف بعض الناس بالقبور كما يطاف بالكعبة المعظمة، وأوقفوا الأموال الطائلة على تلك الأضرحة، حتى إنه لتجتمع في خزائن بعض المقبورين، أموال تعد بالملايين، ولقد أحسن القائل:

أحياؤنا لا يكرمون بدرهم وبألف ألف يكرم الأموات

لقد قصر أناس مع التوحيد؛ فتقاذفتهم الأهواء، واستولت عليهم الفتن والأدواء، فمن مفتون بالتمائم والحروز، يعلقها عليه وعلى عياله، بدعوى أنها تدفع الشر، وتذهب بالعين، وتجلب الخير، والله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْكَ فَلَإِنَّ لَكَ آيَةً إِذْ يُرِيكَ ذُرِّيَّتَكَ تُؤَدُّ عُنُقَكُمْ وَكَانَ مَشْرُوعًا لَكُمْ أَنْ يُصْبِحُوا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَانقَلَبُوا وَبَدَلُوا أَلَم تَلَكَّ الْبُيُوتَ بِالْمِثَالِ ۚ وَذُنُوبُهُمْ وَأَسَدُّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَنَّهُمْ آلِهَةً شَاءَ رَبُّكَ يَكْفُرُونَ بِالْحَبْلِ ۚ وَأَلَمْ تَلَكَّ يَوْمَ الْأَوَّلِ آلِهَةً مِمَّا كَفَرَ الْأَوَّلُونَ ۚ وَكَانَ الْبَدَلُ ۚ﴾ [الأنعام: ١٧].

وقد رأى النبي ﷺ رجلاً في يده حلقة من صفر فقال: «ما هذا؟ قال من الواهنة، فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً» رواه أحمد بسند لا بأس به.

ولأحمد أيضاً، عن النبي ﷺ أنه قال: «من تعلق تيممة فلا أتم الله له»

وفي رواية: « من تعلق تيممة فقد أشرك » .

وإن من المسلمين من قد افتتن بالمشعوذين ، والدجاجلة الأفاكين ، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، بدعوى أنهم يكشفونهم بأمور الغيب ، فيما يسمى مجالس تحضير الأرواح ، أو قراءة الكف والفتجان ، ليكشفوا الناس على حد زعمهم ، عما سيحدث في العالم ، خلال يوم جديد ، أو أسبوع سيُطل ، أو شهر أو شك حلوله ، أو عام مرتقب ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥] . قال رسول الله ﷺ : « من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » رواه الأربعة والحاكم .

وإن من الناس يا عباد الله ، من هو مفتون بمستقبل الأبراج ، فيمضي عاصب العينين ، فاقد البصيرة ، خلف قراء الأبراج ، الذين يدعون السعادة كامنة ، في أصحاب برج الجدي ، والغنى مستقر في أصحاب برج العقرب ، أما أصحاب برج الجوزاء فيا لتعاسة الحظ وخيبة الأمل ، إلى غير ذلك ، من سيل الأوهام الجارف ، والخزعبلات المقيتة ﴿ أَمْ لَهُمْ سَامٌ سَمِعُوا فِيهِ فَلَيَاتٍ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴾ [الطور: ٣٨] ، ﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ [الطور: ٤١ - ٤٣] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله معشر المسلمين، واعلموا أن التوحيد هو حق الله على العبيد، وهو أفراد الله بالعبادة، والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

والتوحيد هو دين الرسل، من أولهم وهو نوح عليه السلام، إلى آخرهم وخاتمهم وهو محمد ﷺ، فمن أنكره، أو قصر في معرفته، فهو مزور كبير، ومبطل جريء.

فيا ويح من تعلق بغير الله أو عبد معه غيره ورضي به، مما هو تراب فوق تراب، يا ويحه ماذا دهاه؟

إن أسلافه الأماجد، لم يفتنوا بهذا العالم كله مطلباً وغاية، حتى عقدوا من أسيافهم، وصالح أعمالهم درجات، يمتطون بها ثبج الهواء، ويشقون بها حواجز المادة الجافة؛ ليتصلوا بخالقهم ورازقهم. فما هذا المتعلق والرضا بالتراب؟!

لقد كان المشرك الدنس، يتلقى لا إله إلا الله، فتتمشى فيه، فتعقم جسمه ونفسه، وتطهرها من معاني الشهوة والفسوق، فيروح ويغدو، كأنه ملك في أبواب إنسان، فما المتعلق بغير الله ومساءلة الأطلال الفانية؟ ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾

وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِمَخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ
زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [الأنعام: ١٢٢].

لقد كان الموحد يتلو قول الله: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ
بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ [الزمر: ٣٦]؛ فيحمل سيفه المثلث، ورمحه المحطم،
فيسايف الأبطال المغاوير، فيقذف نفسه في غمرات الجهاد، يطعن
ويضرب، وصدوره يعي هذه الآية، فما المتعلق بغير الله، وخشية التراب؟

لقد كان الموحد يقرأ قول الله: ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ
أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨]. فتحول هذه الآية، بينه وبين الخلق جميعاً، وتسد عليه طريق
الرغبة فيما عند العباد، فتري المصائب تمر به جميعاً، فلا يدل مخلوقاً على مكان
ألمه، ولا يكشف لغير الله عن موضع علته، ولا تسمع منه أذنٌ مخلوقة، قوله (آه)،
حتى لقد كان تسقط من أحدهم عصاه، فلا يقول لأحد: «ناولنيها». كيف لا، وقد
بايعهم المصطفى ﷺ على ألا يسألوا الناس شيئاً كما في صحيح مسلم، فما هذا
المتعلق بغير الله، ودعوة الأموات والشكوى إلى الرميم والعظام النخرة.

ويح من تعلق بغير الله أو رجا غيره! شرب المؤمنون صفواً، وشرب هو كدرًا ودعوا
هم رباً واحداً، ودعا هو ألف رب ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُتَّفِرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ
الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩].

رفع المؤمنون أبصارهم إلى رب السماء، ونكس هو طرفه إلى الثرى،
وأين الثرى من السماء، وأين عابد الأموات من عابد الحي الذي لا يموت،
﴿ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٩].

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

الحج والأمن

الخطبة الأولى

الحمد لله سبحانه، أنعم على العباد بدينه ودعوته، وأكرمهم بتوضيح الطريق إلى مرضاته ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له دعوة الحق ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

سبحانه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، يسبح له الليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قائد المجاهدين، وإمام المتقين، قضى دهره لله عابداً، وأفنى فيه مجاهداً، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الأتقياء البررة، وعلى التابعين لهم بإحسان.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، وكثرة حمده على آلائه إليكم، ونعمائه عليكم، وبيلائه لديكم، فكم خصكم بنعمة، وأزال عنكم نقمه، وتدارككم برحمة، أعورتكم له فستركم، وتعرضتم لأخذه فأمهلكم، فإن تولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.

أيها الناس: الحج إلى بيت الله الحرام، هو ملتقى المسلمين الأكبر، ومثابتهم العظمى. وزمان الحج ومكانه، هو الموعد المضروب لاجتماع المؤمنين الوافدين من المشارق والمغارب، يذكرون الله، ويدحرون الشيطان، يجهرون فيه بالعج، ويتقربون إلى الله بالشج.

الحج حكم وعظمت، ينهل المسلم منها حيث شاء، فمن حكمة التوحيد إلى حكمة الوحدة والأخوة، إلى حكمة التدبر والتفكير.

وفي الحج أيها المسلمون: تتجلى حكمة الأمن والأمان، من خلال النهج الذي شرعه الله في بيته الحرام، في إيجاد منطقة حرام، يلقي فيها السلاح، وتحقن فيها الدماء، ويجد كل أحد فيها مأواه ﴿أَوْلَمَ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّأْمُونًا وَمِنَّا وَمِنَ النَّاسِ مَن حَوْلَهُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥].

لقد أمن الناس في الحرم، على أرواحهم وممتلكاتهم وأعراضهم، منهم، حتى من القول البذيء، واللفظ الفاحش ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وأمن في الحرم، الطير والوحش وسائر الحيوانات، فلأجل التوحيد بني بيت الله، ولأجل الأمن حرم بيت الله.

فليقدر الحجاج لهذا البيت حرمة، وليحترموا قدسيته، وليقدروا نعمة الأمن، التي هي ماسة بالإنسان، عظيمة الوقع في حسه، متعلقة بحرصه على نفسه ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحُكَادِ يُظَلِّمْ نَفْسَهُ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

روى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة عن مجاهد أنه قال: «كان لعبد الله ابن عمر فسطاطان: أحدهما في الحل، والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يصلي، صلى في الفسطاط الذي في الحرم، وإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الذي في الحل».

وروى الحاكم وصححه عن ابن عباس قال: «أقبل تبع يريد الكعبة، حتى كان بكراع الغميم، فبعث الله عليه ريحاً لا يكاد القاعد منها يقوم، فإذا

قام سقط وصرع، فدعا تبع أخباره وقال لهم: ما هذا الذي بعث علي، قالوا تؤمننا، قال أو منكم، قالوا: فإنك تريد بيتاً منعه الله ممن أَرادَه، قال: فما يذهب هذا البلاء عني؟ قالوا: تتجرد في ثوبيك ثم تقول: « لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك » ثم تدخل فتطوف، فلا تُهَيِّج أحداً من أهله، قال: فإن أنا أجمعت على هذا ذهب عني الريح، وذهب عني العذاب؟ قالوا: نعم، فتجرد لله تعالى ثم لبي فأدبرت الريح كقطع الليل المظلم» .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الفيل: ١-٥].

عباد الله: في ظل الأمن والأمان والإيمان، تحلو العبادة، ويصير النوم سباتاً، والطعام هنيئاً، والشراب مريئاً.

الأمن والأمان، عماد كل جهد تنموي، وهدف مرتقب لكل المجتمعات، فالمجتمع إذا أمن أمن، وإذا أمن نما، فأمن وإيمان وثناء، فلا أمن بلا إيمان، ولا نمو بغير ضمانات ضد الهدم ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وأظلم الظلم، هو الشرك بالله، فهو أم الكوارث وأبوها، وتكفير العلماء والولاية ظئر الفوضى، ولا غرو؛ إذ يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.

إن حادث التفجير الجُمَادِيّ، حكاية لم تزين بخيال، ولم يزد فيها بخبر، إنما هي حكاية خبث الشيطان والأعيبه بالأغرار من البشر، فَنَهَا حذقه، وأغواؤه، وأثرها غلظته وشره، ومعانيها بلاؤه ومحنته. ونعوذ بالله من همزات الشياطين ونعوذ به أن يحضرونا.

إن المزايدة على أمن هذه البلاد، أو التكفير لعلمائها وولاتها ودعاتها، مدعاة للسخرية والفوضى، المفرزين للممارسات الشاذة، المرفوضة بدهاة، وغير المأذون بالقيام بها شرعاً، أو القبول لها تحت أي مبرر كان.

بل هي من نسج الأعداء، وإن استعملوا في تنفيذها لهم أبناء الإسلام، وإغرارهم لزعة كيان الأمة، بإفساد دينها وسلب أمنها ومقدراتها.

وشباب أهل هذه البلاد، نهلوا تربية إسلامية غير معوجة، وأفكارهم وأطروحاتهم مبنية على ركائز العقيدة الصحيحة، وهم في ذلك ثمرة علمائها، وشعب حكامها.

وإن ما قام به أمثال هؤلاء إنما هو نشاز ممقوت، لا يمثل السواد الأعظم، الذي يعلم مسؤولياته تجاه دينه وعلمائه وولائه، والذين حرصوا ألا يكونوا أبواقاً ينفخ من خلالها المغرضون، ومطايا يمتطيها الحاقدون، ضد هذه البلاد وعقيدتها.

إن المرء المسلم، في فسحة من دينه، عن أن يزوج بنفسه في مهاوي الرذيلة، ومزعزع الأمن ومخلخله، إنما هو في الدرجة الأولى، يززع أمن نفسه ووالديه وإخوانه، وزوجه وأبنائه، قبل أن يززع أمن غيره من الناس. فضلاً عن أن يكون بذلك، قد حسر عن رقبته لحد مرهف، تقيم ظباه ألدعي كل مائل شاذ، وهذا دواء الداء، من كل جاهل مأفون: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مِنَ الْيَشَاءِ وَيَهْدَى مِنَ الْيَشَاءِ فَلَا نَذِبَ لِنَفْسِكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨] ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيًا يُغَيِّرُ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

إنه متى امتد شذوذ المرء ليشمل الآخرين، ويمس أمن أهله ومجتمعه، فإنه لا محالة يعرض نفسه لحتفه، بالغاً ما بلغ من العنفوان والشجاعة.

وكان يجير الناس من سيف مالك فأصبح يبغى نفسه من يجيرها

وكان كعنز السوء قامت بظلفها إلى مدية تحت التراب تثيرها

أما يفكر مززع الأمن، في والده ووالدته، حينما تأخذهما الحشرات كل مأخذ وهما اللذان ربياه صغيراً، أما يفكر مززع الأمن، في زوجه وأولاده الذين يخشى عليهم الضياع من بعده والأسى من فقده ﴿ وَلَيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا

مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
 . [النساء : ٩]

أما يفكر مزعزع الأمن، كيف يحل عليه الضعف محل القوة، والهم من نفسه محل الفرح، والكدر مكان الصفاء، حيث لم يعد يؤنسه جليس، ولا يريحه حديث، يخاف من الهمس، ويجزع من اللمس، متلفت لا يصل، قد سئم ما كان يرغبه أيام عنفوانه وحرية نفسه. ولكن ما الحيلة إذا استفحل الداء، ولم يجد الدواء، وما العمل إذا تحول المرء إلى السعار والضيال. لقد أصبح تركه حراً لا يزيده إلا ضراوة، ولا يزيد المجتمع به إلا شقاوة، ولا مكان للرحمة حينئذ لمثيري الفوضى ومهدري الحقوق، في كل أنواع الجرائم بلا استثناء. وترك كل مفسد كائناً من كان، إنما هو فتح لأبواب العذاب على المجتمع كله، وإغراء بالظلم، وإسقاط للقيم، ومن لا يرحم لا يرحم.
 عباد الله:

الرغبة في تكفير الناس، وانتقاص أقدارهم بلا مبرر شرعي، مرض نفسي بالغ الخبث، وفتنة عمياء لا لعلها، تجعل المصابين بها غرباء على مجتمعهم، أو عقبات أمامه، أو غبشاً في مرآته، ملتائين بحجاب أغلف يغشى قلوبهم وعقولهم.

وإن الذي لا يحسن التنقيب في جنبات نفسه؛ لاكتشاف عللها، لا يصلح أن يكون عضواً فعالاً في المجتمع، فضلاً عن أن يكون مسؤولاً أو مريباً، والذي يحرص على اتهام الناس بالفسق والكفر، والإغفاء عن الجهود، مع شماتة في الأعراض إنما هو امرؤ مريض الفؤاد، سمج المزاج. ولكن لا يبلغ الأعداء من جاهل، ما يبلغ الجاهل من نفسه.

مزعزع الأمن، ومفسد الدين، ومكفر العلماء والولاة، إنما يهيئون التراب على تراث المسلمين كله، وهم بذلك، يقطعون شرايين الحياة عن الأجيال الحاضرة والآمال المرتقبة، وهم يخدمون بذلك، عن وعي أو غباء، الغارة الاستعمارية على دار الإسلام، من خلال عمل أخرق، يزيد السقم

علّة، والطين بلّة، ويطيح بالمسلمين، ويوصد أمامهم أبواب الحياة الآمنة .
من أجل ذلك كله، نهيب بالشباب المسلم، أن يكون يقظاً واعياً، حذراً
أشد الحذر من الوقوع في متاهات الهوى، ومزالق الشيطان، في أي وجه
كانت الجريمة .

والمواطن هو رجل الأمن، ورجل الأمن ما هو إلا مواطن صرف ،
ونهب بالعلماء والموجهين، أن يضبطوا أمتهم بتوجيهاتهم وتربياتهم، فلا
يعطوا العدو فرصة للوثوب من خلالها . وليحذر الجميع، ممن بسط لسانه
أو يده فينا، ولا يقول كلمة أبداً في أعدائنا . سبحان الله! ما أخرسه هنا،
وما أنطقه هناك . فما أفلح من أفسد، وما فاز من خرج، ولا نجح من كفر
«وإن يد الله على الجماعة ومن شذ عنهم شذ في النار» أخرج الترمذي .

ويتعين على أهل الإسلام أن تكون مواقفهم حازمة في وجه كل من
يستهدف عقيدتها وأمنها، لا فرق في ذلك بين شريف ووضيع، أو غني وفقير،
أو صغير وكبير، بعيداً عن جو العاطفة؛ ليتبه من غفل، ويصلح من ضل .

اللهم إنا نسألك العفو والعافية، والمعافة الدائمة في الدين والدنيا
والآخرة، اللهم إنا نسألك الأمن في الأوطان، والأمن في الأموال
والأنفس والأهلين، إنك سميع قريب مجيب الدعوات .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أُولَٰئِكَ لَٰئِيْمُونَ أَنَّهُمْ يَفْتَنُونَ فِي كُلِّ
عَٰمٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦] .

عباد الله . أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، ﷺ وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وإخوانه.

أما بعد:

فاتقوا الله حجاج بيت الله، واعلموا أن يومكم هذا هو اليوم الثامن من ذي الحجة، يشرع فيه للحاج أن يحرم بالحج إن كان متمتعاً، ومن كان مفرداً أو قارناً فهو باق على إحرامه من قبل.

ويستحب للحاج أن يتوجه في هذا اليوم إلى منى قبل الزوال؛ فيصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، قصرًا من دون جمع، فإذا صلى الفجر وطلعت الشمس توجه إلى عرفة وهو يلبي أو يكبر، فإذا زالت الشمس صلى بها الظهر والعصر جمعًا وقصرًا، بأذان وإقامتين، ثم يقف بها، وعرفة كلها موقف إلا بطن عرنة، فيكثر فيها من التهليل والتسبيح، ويوم عرفة يوم من مفاخر الإسلام، يوم الحشود الغفيرة، يوم البكاء والخشوع، يوم الخوف من الله، والرجاء لما عنده، والفرار إليه ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرِمَةٌ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

وينبغي للحاج في ذلك اليوم أن يكثر من التهليل بكلمة التوحيد فقد قال ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» رواه الترمذي.

يوم عرفة يوم العتق من النار، والعفو عن السيئات، والمغفرة للذنوب. قال رسول الله ﷺ: «إن الله يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا» رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد موثقون.

يقف مئات الألوف، بمئات اللغات في صعيد واحد، يدعون رباً واحداً، يتبعون نبياً واحداً، كل منهم يناجي ربه ومولاه بلغات مختلفة، لا تشغله لغة عن لغة، يسمع دعوة هذا، ويغفر زلة ذاك، ويرى دمة هذا، ويسمع أنين ذاك، فسبحان محصيهم عدداً، وسبحان معطيهم بدءاً!

ولا يشرع الصعود على جبل عرفة؛ لأن النبي ﷺ لم يفعله ولم يفعله أصحابه من بعده، فإذا غربت الشمس، أفاض الحاج من عرفات إلى مزدلفة بسكينة ووقار، ثم يصلي بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً بأذان وإقامتين، ثم يبقى بها حتى طلوع الفجر، إلا الظعن والظعفة، فلهم أن ينصرفوا منها بعد منتصف الليل.

فإذا صلى الفجر بالمزدلفة وقف عند المشعر الحرام، والمزدلفة كلها موقف، فيدعو الله طويلاً حتى يسفر، ثم يسير إلى منى فيرمي جمرة العقبة، وهي أقرب الجمرات إلى مكة، يرميها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصة، ثم ينحر هديه إن كان متمتعاً أو قارناً، ثم يحلق ويحل من إحرامه فيباح له كل شيء حرم عليه حال الإحرام إلا النساء.

ويبقى في حق القارن والمفرد طواف الإفاضة وسعي الحج إن لم يكن سعى مع طواف القدوم. وأما المتمتع ففي حقه طواف وسعي.

وبعد الطواف يحل للحاج كل شيء حتى النساء. ولا يضر الحاج ما قدم أو أخر، من أفعال يوم النحر لأن رسول الله ﷺ ما سئل عن شيء قدم أو أخر في ذلك اليوم إلا قال: «افعل ولا حرج» متفق عليه. ثم يبیت الحاج بمنى أيام التشريق وجوباً، لفعل النبي ﷺ ولقول: «خذوا عني مناسككم» متفق عليه، فيرمي الجمرات، في اليوم الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر إن لم يتعجل، كل جمرة بسبع حصيات، يبدأ بالجمرة الصغرى ثم الوسطى ثم

الكبرى . ولا يرم إلا بعد الزوال وجوباً .

ومن أراد أن يتعجل فليرم بعد الزوال من يوم الثاني عشر، ثم يخرج من منى إلى مكة، فيطوف طواف الوداع . ومن السنة أن يعجل المرء إلى أهله عند انقضاء حاجته لقوله ﷺ : « فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله » متفق عليه .

﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] .

تقبل الله من الحجاج حجهم، وغفر لهم ذنوبهم، ووفق كل من ساهم في تيسير ذلك، وشكر الجهود وبارك فيها، وكتب الأجر والثوبة للعاكف فيه والباد .

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية .

* * *

انبثق الوليد (رمضان)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان من أفضل شهور العام، من علينا بإدراك شهر الصيام والقيام، فضل أيامه على سائر الأيام، وعمر نهاره بالصيام، ونور ليله بالقيام.

أحمده وأشكره على الإحسان والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهٌ تفرد بالكمال والتمام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل من صلى وصام، وأتقى من تهجد وقام، صلى الله عليه وعلى أصحابه، صلاة دائمة تتعاقب بتعاقب الضياء والظلام، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا أيها الناس، إن عظم رمضان وجماله، وبهاء الشهر العظيم وروعته، بدا ظاهراً جلياً فيما يلتزمه المسلمون في شهرهم هذا من مظاهر الطاعة في كل اتجاهاتها، طاعة فيها كل معاني السمو الروحي، التي تكبح جماح النفس عن

نزواتها، وتحد من هفواتها وشطحاتها. تتغلب فيه الروح على البدن والجسد، وتكون النفس المؤمنة، أكثر استعداداً لقبول نفحات خالقها جل وعلا.

عباد الله: قبل ليال، انبثق في كبد السماء، هلال رمضان الوليد، انبثق ذلك الوليد؛ ليعلم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، أن خالقهم قد آذنتهم بشهر، له في مجتمعهم تأثير، وفي نفوسهم تأديب، وفي مشاعرهم إيقاظ، وكأنه لهم موسم ربيع، انبثق ذلك الوليد!! بعد أن ظلوا أحد عشر شهراً، وهم سائرون في مسالك الحياة، ينالون منها، وتنال منهم. انبثق ذلك الوليد، فتساءل الناس في دهشة وذهول، ما أسرع ما عادت الأيام، ورجعت الذكريات.

إن الزمن، يجري بسرعة عجيبة، فهو دائب الحركة ليلاً ونهاراً، يتساءل الناس من كان بلغ العشرين من عمره، أو الثلاثين، أو أكثر أو أقل يتساءل عن تلك الأيام التي عاشها، والليالي التي قضاه، فلا ينفك، يراها ماضياً تركه خلفه، لن يعود له مرة أخرى.

يشعر الناس جميعاً بذلك صغيرهم وكبيرهم لاسيما عند لقاء ربهم حفاة عراة غرلاً ﴿ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ فَسْئَلِ الْعَادِينَ ﴿ [المؤمنون: ١١٢، ١١٣].

على هذه البسيطة، يشب الطفل، ويشيخ الشاب، ومع ذلك ينظر المرء إلى عمره، فلا يجد إلا ماضياً لا يدري ما أوله وآخره، ولكن المرء الذي لا يدري ما كان، يجب أن يعلم، أن الله سجل عليه كل ما كان ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنْ كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجنات: ٢٩].

أيها المسلمون: تعارف كثير من الناس، على أن يتخذوا من رمضان، شهراً للتراخي والكسل، والتخفف من الجد في العمل، مع أن رمضان في

تاريخ الإسلام، شهر جد واجتهاد، بل هو شهر بطولات وأمجاد؛ بطولات وأمجاد، بكل ألوانها وأنماطها، بطولة الصراع في الميدان، بين الكفر والإسلام، وبطولة اليقين والإيمان، وبطولة التأبي على الشهوات، وبطولة الترفع عن خسيس الملذات. ولرمضان من كل هذه البطولات، حظه الوافر، في الماضي والحاضر، من تاريخ الأمة الإسلامية.

رمضان، شهر مبارك يلمح فيه المسلم عدة خصال، فهو شهر القرآن إنزالاً ومدارسة، شهر القرآن يوم يلقي جبريل عليه السلام، رسول الله ﷺ فيدارسه القرآن، شهر القرآن، وما أدراك ما شهر القرآن، إن الإنسان بلا قرآن، كالحياة بلا ماء ولا هواء، بل إن الإفلاس، متحقق في حسه ونفسه، ذلك أن القرآن، هو الدواء والشفاء ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]. ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَادَانِهِمْ وَقُرْهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ [فصلت: ٤٤].

شفاء القلوب وشفاء الأبدان، فكلما ضاقت أمام المرء مسالك الحياة وشعابها، وافتقد الرائد عند الحيرة، والنور عند الظلمة، وجد القرآن خير جليس، لا يمل حديثه، وترداده يزداد به تجملاً وبهاءً، وجد في القرآن الملجأ والمعتمد ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

كان بعض السلف، يختم في رمضان، في كل ثلاث ليال، وبعضهم في سبع، وبعضهم في عشر. وكان للشافعي رحمه الله، ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة، وكذا عن أبي حنيفة رحمه الله، وكان مالك رحمه الله، إذا دخل رمضان، أقبل على تلاوة القرآن، وترك قراءة الحديث، وإنما ورد النهي عن النبي ﷺ عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث، على مداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر

رمضان، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن، وهذا قول الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، وغيرهما من الأئمة.

هذا الشهر المبارك، شهر القرآن، يشد الناس إلى الدين، يذكرهم بحق الله، تشم رائحة الدين في كل مجلس تجلس فيه، يحس بإقبال الناس على كتاب الله، يقرؤونه، ويسمعونه، ويتدبرون آياته، إنه يرفع في نفوس الناس درجة الاستعداد، لتغيير ما في النفس، حتى يغير الله ما بهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَهُ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

يشعرهم القرآن بضرورة هذا الدين لهم، كضرورة الماء والهواء، وإن كل أمة تهمل أمر دينها وتعطل كلمة الله في مجتمعها، فإنما تهمل أعظم طاقاتها، وتعطل أسباب فلاحها في الدنيا والآخرة، وكل أمة يُفقد التدين في مجتمعها، تضطرب أمورها، ويموج بعضها في بعض، ويقلب الله عزها ذلاً، وأمنها خوفاً، وإحكامها فوضى.

وشهر رمضان: شهر الجود وسعة العطاء: ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل، أجود بالخير من الريح المرسلة»

فرسول الله ﷺ أجود بني آدم على الإطلاق، وكان جوده بجميع أنواع الجود، من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه، وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق، من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم.

ومن هنا نعلم أن هذا الشهر المبارك، عونٌ للمسلم على الجود، فسكون النفس، وخفتها في المأكل والمشرب، وكثرة المدارس للقرآن، الذي يحث على المكارم والجود، كل ذلك له تأثير في الواقع .

فالجمع بين الصيام والصدقة، موجب من موجبات الجنة قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة غرفاً، يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها» قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام» رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه .

فيا أيها الأغنياء في كل قطر، ويا أيها الأثرياء في كل مصر، إن كان الله تعالى، قد تفضل عليكم ورزقكم من الطيبات، وأغناكم عن الحاجة، وصان وجوهكم عن مذلة السؤال، فقد وجب عليكم أن تشكروه على ما منحكم ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] . اتقوا الله في البؤساء، الذين أصابتهم الشدائد، والفقراء المحتاجين، من أرباب العيال .

فمن القسوة، أن تمنعوا المعونة، وتقبضوا أيديكم شحاً وبخلاً، أمن الرحمة أن تكونوا في رغد من العيش، وسعة من الرزق، ومن أبت عليهم صروف الحياة، في شدة من الضيق، وألم من الإعسار؟ أمن المروءة أن تتمتعوا بملابس الزينة، وأخوكم المسلم، يحرقه حر الصيف، ويقرصه برد الشتاء .

إن الغني الذي لا يحس بأن عليه للفقراء حقوقاً وواجبات، لقاى القلب، خال من الشفقة، بعيد من رحمة الله ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] . «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح .

إن من الأغنياء، من لا يئن لمتألم، ولا يتوجع لمستصرخ، ولا يحن

لبائس، تجرد من العاطفة وحنان الإخاء، يقع أمامه من الحوادث، ما يؤلم القلب ويدهمي العين، فلا يتأثر ولا يلين، بل تجده كالصخرة الصماء، وما علم أولئك، أن مالك الملك، وخالق الخلق، قادر على أن ينزع عن الغني لباس الغنى، ويعطي البائس الفقير ما يرضيه من متاع الحياة ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فاتقوا الله أيها الأغنياء، واصنعوا المعروف في أهله ما استطعتم، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون، واعلموا أن ما يضيعه البعض منكم في الكماليات لكثير، ولقد ينفق في لحظة قصيرة ما يكفي البائس الفقير زمناً طويلاً، فأدخلوا السرور على المساكين بالبر والإحسان، لعل الله أن يرحم الجميع، ويكشف ما بهم من ضيق وشدة، وذل وبلاء.

عباد الله:

كما أن شهر رمضان، شهر جود وإنفاق، فهو كذلك شهر قيام الله تبارك وتعالى. قال رسول الله ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه.

﴿ يَتَأْتِيهَا الْمُرْزَلُ ۝١٦ قُرْآنَ الْإِقْلِيلِ ۝١٧ نَصْفَهُ ۝١٨ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا ۝١٩ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَتِلَ الْقُرْآنُ أَنْ تَرْتِيلًا ۝٢٠ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ۝٢١ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ۝٢٢ ﴾ [المزمل: ١-٦].

وناشئة الليل هي أوقاته وساعاته. والمقصود، أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس، ولغط الأصوات، وأوقات المعاش.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قد أمر أبي بن كعب، وتميمًا الداري أن يقوموا بالناس في شهر رمضان، فكان القاريء يقرأ بالمائتين في

ركعة، حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلا عند الفجر، وهذا كله عن رغبة منهم، وحرص وعزيمة.

ومن أم قوماً يستثقلون الإطالة، فليخفف القراءة على ما يحتمله الناس. فقد قال أحمد بن حنبل رحمه الله لبعض أصحابه، وكان يصلي بهم في رمضان: «هؤلاء قوم ضعفي، اقرأ خمساً، وستاً، وسبعاً» يعني من الآيات.

قال رسول الله ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين» والمعنى: يكتب له قنطار من الأجر. رواه أبو داود بإسناد حسن.

أيها المسلمون: هذا شهر رمضان: أتى ليكون فترة تأديبية تهذيبية، تعلم المرء كيف يهدأ، وكيف يخفف من جماح رغباته، وإسراف شهواته، فها هي المفطرات تكون من حوله، وليس عليه من رقيب أو حسيب، سوى خالقه ومولاه، المطلع على الضمائر والسرائر، قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له كفارة والصوم لي وأنا أجزي به» رواه البخاري.

فاتقوا الله أيها المسلمون: وأروا الله من أنفسكم في هذا الشهر المبارك، فإن لله نفحات، من حرمها حرم خيراً كثيراً.

اللهم اجعل مواسم الخيرات لنا مريحاً ومغنماً، وأوقات البركات والنفحات لنا إلى رحمتك طريقاً وسلماً.

أقول قولِي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون: واعلموا كما أن لشهر رمضان حوافز ومرغبات، فإن هناك مزعجات ومنغصات، بدت جلية ظاهرة، سببها قصور بعض الناس، الذين يستثقلون هذا الشهر المبارك، ويستعظمون مشقته، فهو كالضيف الثقيل عندهم، يرتقبون خروجه بفارغ الصبر، ويتطلعون إلى انقضائه مشرئبين، اعتادوا على التوسع في الملهيات والشهوات من المأكول والمشرب، يأكلون الأبطال، ويشربون الأسطال، وينامون النهار ولو طال، أغرقهم طوفان السعار المادي، فجعلهم يطلبون ولا يعطون، ويشتهون ولا يصبرون، ويحسنون الجمع ولا يعرفون القسمة، حتى حطم فيهم روح المغالبة والمقاومة، تراهم ذئاباً في الليل، جيفاً في النهار، فلا عجب!! ألا يجد هؤلاء من اللذة والراحة، بهذا الشهر المبارك، ما يجده المؤمنون الصادقون .

ومنغص آخر من منغصات الناس في رمضان، تلك الحركة النشطة، التي تبثها قنوات الأقمار المرئية، التي تنشر الإثم عارياً، وتحلق الدين قبل أن تحلق العفاف والحياء، جعلوا من رمضان موسم طرب وسهر، تبث فيه الأفلام الرخيصة، والدعايات المضللة، وإن كان للإسلام نصيب في تلك

القنوات، فهو إسلام مشوه الصورة، تُرى معه القبلات واستجداء اللحظات، صارت وباءً كاملاً، فاحتلت كل مكان، وجذبت إليها الرشيد والسفيه، والقويم والفاسد، وبذلك تخسر الأمة في كل لحظة مواطنًا صالحًا، يضل ضلالة، يغش بها ويخدع، ويسرق ويحتال، تمتعًا بهذا الترف المرئي، والداء المستشري، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ومنغص ثالث من تلك المنغصات، المرأة المسلمة؛ ما دورها في رمضان؟ أياكون شغلها الشاغل، التفتن في المأكول والمشرب؟ ماذا أدت لخالقها في هذا الشهر؟ كيف يطيب لها إن تسامت إلى الخير، أن تختلي بأجنبي دون محرم، كيف يطيب لها أن تخرج إلى المسجد مع سائقها متعطرة متبرجة، قد اصطحبت أطفالها في سداجة وبلادة، وكأن المصلي هي وحدها؟ آذت وآنت، فما صلت ولا صامت، تحملت الوزر من حيث أرادت الأجر، ربما اعتمرت فطافت وسعت، ثم قصرت فحلت إحرامها، خرجت إلى الأسواق كاشفة الوجه أو العينين، أثارت كوامن الشهوة بعينها، فعلت بألباب الرجال كما تفعل الخمرة بالعقول، فهي خراجة ولاجة، زرعت بتبرجها دروب الناس ألغامًا، طافت بالأسواق، وسعت بين الغادي والرائح، ثم قصرت عن طاعة الله فحلت حياءها، فقارنوا-رحمكم الله- بين هاتين العمرتين!!!!!!

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة . . .

المدافعة بين الإسلام والكفر

الخطبة الأولى

الحمد لله، شرع الجهاد لحماية حوزة الإسلام، جعله رفعة للمسلمين، وهو للإسلام ذروة سنام، أحمده سبحانه، جعل النصر لحزبه، فأعظم بتأييد الملك العلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، سيد الأنام، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام، وعلى من تبعهم وسار على نهجهم ما زهرت النجوم، وتوالت الأيام، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بجماعة المسلمين؛ فإن يد الله على الجماعة ومن شذ عنهم شذ في النار.

أيها الناس:

قبل نبوة المصطفى ﷺ بعشرات السنين، كان الناس في هذه البسيطة،

على فترة من الرسل ، منقطعين عن المدد الروحي من السماء الذي كانت تعان به الأرض وأهلها ، على اجتياز ظلمات المادة ، وفسق المادة ، وجفاف المادة ، فخبَّط الناس في مهامه الحياة ودروبها خبط عشواء ، في ظلمات ثلاث ، ظلمة العقائد ، وظلمة القوانين البشرية ، وظلمة الأنفس .

ظلمة العقائد ؛ لا يجد فيها الحاذق بصيص نور يهتدي به إلى هداية ، أو يخلص به من ضلالة ؛ فاستبد الأحرار والرهبان بقلوب الناس وعواطفهم .

وظلمة قوانين ، لا يجد فيها عاقل ما يعين على عدالة ، أو ما يخرج من مظلمة ؛ فاستبد العظماء بأموال الناس وظهورهم ، فالظلم عندهم ، من شيم النفوس ، فإن تجد ذا عفة منهم ، فلعله لا يظلم .

وظلمة أنفس ، لا يجد فيها المتأمل مكاناً لرحمة ، أو نوراً يضيء ظلمة ، إلا من رحم الله .

فما زالت الإنسانية ، تتخبط في هذه الظلمات الثلاث ، وتنحدر إلى هاوية سحيقة ، حتى تمخضت عن أم كان من قسوتها وفضاعتها أن تقتل بنيتها شر قتلة ، مخافة أن يشاركوهم في مآكلهم أو ملبسهم ، قال ابن عباس رضي الله عنه : إذا سرك أن تعلم جهل العرب ، فاقراء قول الله : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٤٠] .

وكان من عقلها ودينها أن تصنع معبوديها بأيديها ، ومن مجدها التي تتغنى به الحذق في انتزاع الأرواح ، والمهارة في إيتام الأطفال ، وإرمال النساء ، وإثكال الأمهات والآباء ، حتى لقد صدق قول الله فيهم : ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

بعد هذا التخبط المقيت ، يبعث الله الرسول الأمي ﴿ نُورٌ وَكُتُبٌ مُبِينٌ ﴾ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ [المائدة : ١٥ ، ١٦] .

نطاقه في الأرض؛ فهزم كل ما أمامه من الظلمات الثلاث: ظلمة القوانين، وظلمة العقائد، وظلمة الأنفس. وما استطاعت ظلمة من هذه الظلمات الثلاث، أن تثاقفه أو تواقفه، حتى صار لهذا الدين أنصار وقادة يحملونه في إحدى اليدين، وفي الأخرى يحملون الحديد ذا البأس الشديد، يذودون عنه الإيذاء والاعتداء، ويخلون له الطريق إلى القلوب والعقول، فما أجمل الحق، يعرضه القوي في لين، وما أجمل القوة، تنصر الحق في شجاعة.

حمل هذا الدين رجال وقادة، علمهم نبيهم ﷺ ألا يخاف العبد إلا ربه، وألا يذل، إلا لمن ذل له كل شيء وخلق كل شيء، ولمن بيده أسباب الخوف وأسباب الأمن وحده ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وعلمهم نبيهم، ألا يتأخر عن الموت من طلب الحياة وأحبها، فإن من رغب في الموت، ذلت له ناصية الحياة، ومن رغب في الحياة ذلت ناصيته هو للموت. قال أبو بكر رضي الله عنه: «أحرص على الموت توهب لك الحياة».

كانوا يُقدمون على الموت، إقدام من ليست حياته ملكاً له، فأخذوا بنواصي الأكاسرة، وهامات القياصرة، وذرروا التراب على وجوه الطغاة، الذين طالما جرعوا الإنسان جرع الذل والهوان، وأذاقوه غصص الخسف والاستبداد.

عباد الله: قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

المدافعة بين الإسلام والكفر، ضرورة حياة الشعوب وبقائها، وكل

المدافعة بين الإسلام والكفر، ضرورة حياة الشعوب وبقائها، وكل شعب فقد هذا الدواء على مر التاريخ فقد الحياة ولا محالة، فأكلته شعوب الكفر، وطحنه تنازع البقاء، وذهب أقساماً، بين أشتات المطاعم والأهواء.

أيها الأحبة في الله:

يخطئ كثيراً، من يظن أن هزائم المسلمين في عصرهم الحاضر، كانت بدعاً في تأريخهم الطويل، كلا؛ فالأمر ليس كذلك؛ بل إن أمر المسلمين قد يعلو تارة، ويهبط أخرى، بمقدار قربهم من ربهم وإحيائهم لسنة الجهاد في سبيل الله. قال رسول الله ﷺ: «من لم يغز أو يجهز غازياً، أو يخلف غازياً في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة» رواه أبو داود وابن ماجه بسند جيد. والقارعة: هي الداهية.

لذا، فقد هبط أمر المسلمين في قرون مضت، حتى اغتصب الحجر الأسود بضع سنين، فما عاد إلى موضعه: إلا بعد لؤى وشدائد.

ولكن هذا التاريخ الذي هبط، سرعان ما علا وارتفع، وهكذا أصبح تاريخ المسلمين، يتأرجح بين مد وجزر، في صورة حقيقية لا ينكرها إلا غر مكابر.

أيها المسلمون:

إن الناظر في واقع العالم اليوم، إن كان ذالِب وبصيرة، فإنه لن يتمالك من قوة الفهم، إلا أن يقول: ما أشبه الليلة بالبارحة، وما أشبه اليوم بالأمس. فهذا هو التاريخ يعيد نفسه، تتغير مراكز القوى، وتقلب معايير النفوذ والاتساع، حتى أصبحت متمركزة في معسكرات الكفر، بحيث لا تُفسَّر إلا بالقوة التي كان يمارسها الجاهليون ضد الإسلام، وإن كان دور أهل الكفر الذين سيطروا على المسلمين في قرون مضت لا

يتجاوز سيقوفاً ضربوا بها هام المسلمين ففلقوها، واحتزوا الرقاب فقطعوها، وضربوا منهم كل بنان، حتى يقول الكافر للمسلم: قف مكانك حتى آتي بسيفي لأقتلك، فيقف المسكين مكانه لا يحرك ساكناً، حتى يأتي ذلك الرجل فيقتله - إن كان ذلك، هو أسلوب أهل الكفر في ذلك الحين؛ فإن أسلوبهم في هذا العصر، ينطلق من محاور متعددة، أورثت لدى المسلمين جبناً وخوراً، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وانطلقوا يغزونهم في عدة ميادين، تمثلت في إذكاء التخلف العلمي، والتخلف الاقتصادي والصحفي، والتحدي الثقافي، في مجال الدراسات الإسلامية، والدراسات التاريخية والأدبية واللغوية، والتحديات الاجتماعية والإعلامية وإثارة الحروب الأهلية، والنعرات الطائفية، إنها حرب شعواء، لا هوادة فيها.

إن أهل الكفر، هم أبعد الناس عن العدالة، وأنأى الناس عن الرحمة، وإن زعموا العدل في محاكمهم الدولية، أو مجالسهم ومقرراتهم الدستورية، لقد صار غيباً عندهم من يحاول أن ينال حقه باسم العدالة أو الرحمة الدولية، أو القوانين الخاصة أو العامة أو باسم المدنية والإنسانية، وصار المغبون حقاً، هو ذلك الضعيف المهزول، الجاثي على ركبتيه المهزولتين، أمام تلك القوى الكافرة الظالمة، يستجديها حقه، ويسألها إنصافه ويطلب إليها بدمعه، لا بدمغه، أن يمسخ الدم عن أظافره الدامية، ويظهر فمه من لحوم الضعفاء الأبرياء، ويناديه باسم المدنية، وباسم الحقوق الإنسانية، فصار لا يوجد العدل إلا حيث يوجد الجور، ولا يوجد السلم إلا حيث توجد الحرب، وصارت القوى الكافرة الظالمة، لا تذكر العدالة ولا الحقوق الإنسانية إلا إذا تحدثوا إلى الأقوياء الباطشين أمثالهم، أما الضعيف العاجز عن المدافعة، فما له عندهم إلا التمدين، زعموا، ومعناه:

والتطبيع ، وسائر ما للبؤس والشقاء من مظاهر ومعان .

كل ذلك أيها المسلمون مصداق لقول المصطفى ﷺ : «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل : أو من قلة نحن يا رسول الله؟ قال : لا أتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل» أخرجه أبو داود وأحمد، وهو صحيح .

هجمت عليهم الدنيا فتنافسوها؛ فقلبت موازين الحياة عندهم، نسوا قول الله : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ونسوا قول الله تعالى : ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقول الله عز وجل : ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠] .
ونسوا قول المصطفى ﷺ : «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» رواه أبو داود، وأحمد بنحوه، وهو صحيح .

انقلبت موازين الحياة عندهم، فأخرجت سنة المدافعة من النفوس، ظنوا أن الشجاع المقاتل يقتل دون الجبان المسالم، المقر للخسف في دينه وملته وأرضه، حسبوا أن الجبناء أطول أجلاً من الشجعان فقالوا :

يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

ولأجل هذا، كان من يحرصون على الحياة، يهرعون إلى السلم والمسالمة . والحقيقة الواضحة أيها المسلمون على العكس من ذلك، فإنه لا يقتل غالباً إلا الجبان، ولا يقع في الحرب إلا الهارب إلى السلم، ولا ينال الشر إلا أهل الدعة واللين والخوف .

عباد الله:

إن الإرهاصات المتتابة، التي أذكأها أهل الكفر والشرك لم تذهب سدى، فنحن نرى بين الفينة والأخرى، نفوساً ضعيفة، وأقلاماً مأجورة. ترعرعت في

كف الكفر، فأخذت تبث دعايات مضللة، مفادها هدم ركن ركين، وأصل أصيل من أصول الإسلام، ألا وهو ركن الولاء والبراء، الولاء للمؤمنين، والبراء من الكافرين. الولاء والبراء، الذي هو من لوازم كلمة التوحيد « لا إله إلا الله محمد رسول الله ». ذلك اللازم المؤكد في قول الله تعالى: ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وفي مثل قوله: ﴿ لَا يَتَّخِذُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وفي مثل قول المصطفى ﷺ، لجرير بن عبد الله البجلي لما بايعه على الإسلام قال له: « أن تنصح لكل مسلم، وتبرأ من الكافر » رواه أحمد بسند حسن.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

قال العالم المجدد، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: فأما صفة الكفر بالطاغوت، فإن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتكفر أهلها، وتعاديهم.

وذكر رحمه الله من نواقض الإسلام: من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم، أو يصحح مذهبهم كفر. وقال رحمه الله: ومظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين كفر والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]. قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم.

أيها الناس:

هذا الركن الركين والحصن الحصين، مالت نفوس ضعيفة، اجتالتها

الشياطين عن فطرة التوحيد. مالت بهم إلى نبذه من واقع حياتهم، فيما يسمونه بالعالمية، أو زمالة الأديان أو التطبيع بين الكفر والإسلام، ومعنى تلك المسميات كلها، هو توسيع دائرة الولاء؛ بحيث يدخل فيها كل الأقوام والأديان والأوطان، حتى يصبح المسلم وهو لا يشعر بالفارق بينه وبين غيره من الكفار في بقاع الأرض، وقد يطغى على هذا المبدأ، ألفاظ براءة خادعة، كالحرية والإخاء، والعدل والمساواة، وبذلك يُطمس الولاء والبراء، وتُشعر ذروة سنام الإسلام، وهي الجهاد في سبيل الله، وقد ذم الله هذا الصنيع وحذر منه بقوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ بِهِءٍ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦].

فاتقوا الله أيها المسلمون، وعودوا إلى دينكم عوداً حميداً، اتقوا الله والتفتوا إلى واقعكم، انظروا إلى دماء الأبرياء من بني ملتكم، تصرخ ولا مغيث، إن ضعف المسلمين واستكانتهم جعلت من دم المسلم عملة راتجة في سوق سوداء، لا تخضع لنظام، ولا يحميها قرار.

أيها المسلمون:

استمعوا إلى نصح ربكم في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْمُرُونَكُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْحَقِّ وَالْإِسْلَامِ الَّذِي كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآئِنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا الْقَوْمُ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسَوْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٨ - ١٢٠].

بارك الله لي ولكم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، ثم اعلموا أن معركة الإسلام مع الكفر، ليست وليدة اليوم، وإنما هي فصول يقصها القرآن وترويها السنة، في أدوار مختلفة، ولن يخلو زمان أو مكان من تلك المعركة الضارية، غير أن النور الذي حملة رسول الله ﷺ ليضيء للعالمين، لن ينطفئ أبداً، بل هو باق خالد، في أيدي المسلمين، يحملونه إلى البشرية ليضيء الدنيا مرة أخرى بأمر من الله، ويوحد الكلمة، ويجمع الشتات، وإن للمسلمين في وعد ربهم، ما يشد عزائمهم للثبات على دينهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» رواه البخاري.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

قال ابن جرير رحمه الله: أي ليعلي الإسلام على الملل كلها، ولو كره المشركون بالله ظهوره عليها.

وقال ابن كثير رحمه الله: أي يظهره على سائر الأديان كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقتها ومغاربتها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها».

إن شعوباً لا تعرف إلا الله، لن يغلبها من لا يعرف الله، وإن من لا يعرف إلا الحق، لن يغلبه من لا يعرف إلا الباطل. فوجد الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان.

غير أن الأمر قد بات من الخطورة، بحيث يوجب البحث عن الأسباب المفضية إلى ضعف المسلمين، وخسائرهم الفادحة!!

ولننظر إلى مصدرها، هل هو غش ثقافي، أو عوج خلقي، أو خلل سياسي واجتماعي؟ وما الذي أفقد الأمة كيانها ثم جعلها تتلقى الضربات وتصرع أمامها.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وانظروا إلى نصوص الشرع برضى وطواعية، مصحوبين بالاستسلام لله ولشرعه، وليعلم الذين يقصون شرع الله من واقع حياتهم، أو يخرجون جانباً من جوانب الإسلام، في سياسة أو حكم أو اقتصاد أو ما شابه ذلك.

ليعلموا أن ركب الإسلام سائر بإذن الله، وأن الله سيبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ولن يدع الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعزبه الإسلام، وذلاً يذل به الكفر.

فالأولى بالمقصرين من أهل الإسلام، والمعادين له من أهل الكفر والشرك، أن يستسلموا لشرع الله بعودة صادقة إلى الله، وإخلاء الطريق للشعوب المسلمة لتسعد بشرع الله.

ليت الذي لم يكن بالحق مقتنعاً يخلي الطريق ولا يؤذي من اقتنعا

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

أفة العصر (المسكرات والمخدرات)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فاتقوا الله أيها الناس، اتقوا ربكم وراقبوه في السر والعلن، فبتقوى الله عز وجل، تصلح الأمور، وتتلاشى الشرور، ويصلح للناس أمر الدنيا والآخرة.

عباد الله:

لقد كرم الله عز وجل، بني الإنسان على كثير من مخلوقاته ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ رِزْقًا لَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

كرم الله عز وجل، بني آدم بخلال كثيرة، امتاز بها عن غيره من المخلوقات، من جماد وحيوان، ونبات وجان؛ كرمه بالعقل، وزينه بالفهم، ووجهه بالتدبر والتفكر، فكان العقل من أكبر نعم الله على الإنسان، به يميز بين الخير والشر، والضار والنافع، به يسعد في حياته، وبه يدبر أموره وشئونه، به يتمتع ويهنأ، به ترتقي الأمم وتتقدم الحياة، وينتظم المجتمع الإنساني العام، وبالعقل يكون مناط التكليف.

العقل، جوهرة ثمينة، يحوطها العقلاء بالرعاية والحماية؛ اعترافاً بفضلها، وخوفاً من ضياعها وفقدانها.

بالعقل يشرف العقلاء، فيستعملون عقولهم فيما خلقت له، كما قال تعالى: ﴿قَدَّيْنَتَا لَكُمْ الْأَيْتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]. وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾ [طه: ١٢٨]. وقال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ﴾ [الفجر: ٥].

وإذا ما فقد الإنسان عقله، لم يفرق بينه وبين سائر الحيوانات والجمادات، بل لربما فاقه الحيوان الأعجم، بعله الانتفاع. ومن فقد عقله،

لا نفع فيه ولا يتنفع به، بل هو عالة على أهله ومجتمعه .

هذا العقل الثمين، الذي هو مناط التكليف، يوجد في بني الإنسان، من لا يعتني بأمره، ولا يحيطه بسياج الحفظ والحماية، بل هناك من يضعه تحت قدميه، ويتبع شهوته، وتعمى بصيرته، كل هذا يبدو ظاهراً جلياً، في مثل كاسة خمر، أو جرعة مخدر، أو استنشاق مسكر وشرب مفتر، تفقد الإنسان عقله؛ فينسلخ من عالم الإنسانية، ويتقمص شخصية الإجرام والفتك والفاحشة؛ فتشكُّ الحياة، ويُهْدم صرح الأمة، وينسى السكران ربه، ويظلم نفسه، ويهيم على وجهه، ويقْتل إرادته، ويمزق حياؤه، أيتَم أطفاله، وأرمل زوجته وأزرى بأهله لما فقد عقله، فعربد ولهى ولغى . وبذلك كله، يطرح ضرورة من الضروريات الخمس، التي أجمعت الشرائع السماوية على وجوب حفظها، ألا وهي ضرورة العقل .

إنها واجبة الحفظ والرعاية؛ لأن في حفظها قوام مصلحة البشرية؛ ففاقد العقل بالسكر، يسيء إلى نفسه ومجتمعه، ويوقع مجتمعه وبني ملته في وهدة الذل والدمار؛ فيخل بالأمن، ويروع المجتمع، ويعيد أساطير الثمالي الأولين، ومجالس الشراب عند العرب الجاهليين .

عباد الله:

فقدان العقل بالسكر، عادة قبيحة، كانت تلازم أهل الجاهلية، عند معاقرتهم الخمرة، يقضون الليالي الساهرة، مع الأصحاب والخلان على احتسائها .

وهم مع ذلك يعدونها وسيلة من وسائل الفخر والكرم .

لقد أغرم الجاهليون بالخمرة، حاضرة وبادية، وافتخر الشعراء

بمعاقرتها، وبذل المال في سبائها .

أقبل الجاهليون على الخمرة؛ من أجل قتل الفراغ، ونسيان الفقر، فأكثر شعراؤهم القول في الخمر، على حين فترة من الرسل، فَصُدِّرت الخمرة في مطلع معلقة هي من أشهر معلقات العرب السبع، والتي قيل: إنها علقت على أستار الكعبة، أنشد فيها عمرو بن كلثوم:

ألا هُبِّي بصحنك فأصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

تناقل العرب والشعراء تلك المعلقة، وكأنها قرآن يتلى؛ فأخذت بمجامع الناس، وأيام العرب، حتى قال قائلهم:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

إذن، كانت الخمرة في الجاهلية من دواعي فخر العربي وكرمه، وكان تقديمها للضيوف وجمع الفتيان لشربها مفخرة أي مفخرة .

ثم يأتي رسول الله ﷺ معلناً لأمته قوله: « ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية، تحت قدمي موضوع » أخرجه مسلم .
أيها الناس:

إن أمة لا تحافظ على عقول بنيتها لأمة ضائعة، ماذا فعل السكر بأهل الجاهلية، هل أعاد لهم مجداً تليداً، أو وطناً سليماً، هل أخرجوا الناس من ظلمات الجهل والتهيه، إلى نور الهدى والاستقامة، أيفلح قوم استفحل السكر والخمر في ديارهم جهاراً ونهاراً؟ لا، وكلا وألف لا .

ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ في حادث الإسراء أنه قال: « وأُتيت بإناءين: في أحدهما لبن، وفي الآخر خمر، قيل لي: خذ أيهما شئت، فأخذت اللبن، فشربت، فقيل لي: هُديتَ الفطرة، أو أصبتَ الفطرة، أما إنك لو أخذت

الخمير، غوت أمتك» وفي بعض روايات ابن جرير رحمه الله، أن جبريل قال: «أما إنها ستحرم على أمتك، ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا القليل» .

الله أكبر! إن قول جبريل عليه السلام يؤكد أن الأمة المسلمة الحققة، لا يمكن أن تتبع شاربَ خمير، حتى ولو كان رسول الله ﷺ وحاشاه عن ذلك، بأبي هو وأمي، صلوات الله وسلامه عليه

إذن، لا يجتمع في الأمة لبن وخمير، بمعنى أنه لا تجتمع فطرة وخمير، فإما فطرة صالحة بلا خمير، وإما خمير وتيه بلا فطرة. قال رسول الله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» رواه البخاري ومسلم. عباد الله:

إن الخمور التي كانت من مفاخر الجاهلية، ومن تقاليدهم المألوفة، جاء الإسلام بإلغائها، وخلص الجماعة المسلمة من رواسب الخمرة، بعد أن رسخ دعائم التوحيد والعقيدة في نفوسهم، وأخرجهم من عبادة العباد، وعبادة الشهوة والجسد، إلى عبادة الله وحده. وأخرج كثيراً من الصحابة رضي الله عنهم من منادمة الخمرة، فصقلهم الإسلام صقلاً هجروا بسببه كل عادة تغضب الله ورسوله.

فها هو حسان بن ثابت رضي الله عنه يقول عن الخمر في الجاهلية:

ونشربها فتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهها اللقاء

فلما خالط الإسلام قلبه، صار شعره أشد على نحور المشركين من وقع

النبيل، كما قال ذلك رسول الله ﷺ. أخرجه النسائي والترمذي وقال:

حسن صحيح.

وهذا أبو محجن الثقفي رضي الله عنه، الذي اشتهر بالخمرة في جاهليته، وهو الذي ينسب إليه قوله:

إذا مات فادفني إلى جنب كرمة تروي عظامي في الممات عروقها
ولا تدفني بالفلاة فإنني أخاف إذا مات ألا أذوقها

فلما تمكن حب لله ورسوله من قلبه أبلى بلاءً حسناً في القادسية، وقال له سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لا حبستك في الخمر بعدها أبداً، فقال أبو محجن: وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبداً، فنعم الإسلام هادياً ومؤدباً.

أيها الناس:

إن رذيلة المخدرات والمسكرات، آفة خبيثة، لم تفش في عصر من العصور، كما فشت في عصرنا الحاضر، ولم تصب المجتمعات بحمي السكر، التي شنها أعداء الإسلام على جميع بلاد المسلمين، بهدف تخديرهم، وإهدار طاقاتهم، وشل جهودهم، وتغييب عقولهم علناً، كما أصيبت في هذا العصر.

لقد قام أعداء الإسلام، بزج كميات رهيبة من جميع أصناف المخدرات، إلى بلاد المسلمين حسداً من عند أنفسهم، يريدون للأمة المسلمة أن تتورط بهذه السموم، فلا تخرج منها إلا بعد لأيٍ وشدائد، وتعب مضمّن، وتوبة صادقة.

وقع جمع من الناس في برائتها، ورضعوا من أثداء المخدرات والمسكرات؛ ففضوا بناء المجتمعات ونشروا أعضائها، وبددوها شذر مذر، نفخت روح الحضارة العصرية في بعضهم نفخة كاذبة، وخيلت إليهم أنهم خلق وجيل، مغاير لما مر من الأجيال في التاريخ كله، زعم المتفنون منهم، أنهم خلق، لا تنطبق عليهم سنة، ولا يخضعون لسابقة، رأوا أنهم في عصر الذرة، وعصر المعلومات، فقالوا للناس أجمع: أما

علمتم أن الدنيا دخان وكأس سكر وغانية؟!!

أمة الإسلام:

كم من الآلاف في أمتنا، يعكفون على المسكرات والمخدرات، يهلكون أنفسهم عن طريق هذه الكيوف السامة القتالة، فأخذوا يزهقون أرواحهم، ويحفرون قبورهم بأيديهم حتى صاروا أشباحاً بلا أرواح، وأجساماً بلا عقول.

أيها المسلمون:

إن للمسكرات والمخدرات مضاراً كثيرة أثبتها الطب العصري، وأكدتها تجارب المجتمعات، وذكروا فيها أكثر من مائة وعشرين مضرة، دينية ودنيوية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن الحشيشة حرام، يُحَدُّ تناولها كما يحد شارب الخمر، وهي أخبث من الخمر، من جهة أنها تفسد العقل والمزاج، حتى يصير في الرجل تخنث وديانة، وغير ذلك من الفساد، وأنها تصد عن ذكر الله». اهـ كلامه رحمه الله.

ومن أعظم مضار المسكرات والمخدرات، أنها تفسد العقل والمزاج، وما قيمة المرء إذا فسد عقله ومزاجه، يتعاطى المسكرات والمخدرات، فيرتكب من الآثام والخطايا، ما تضحج منه الأرجاء، وما يندم عليه حين يصحو، ولات ساعة مندم، ولقد روى القرطبي رحمه الله في تفسيره، أن أحد السكارى جعل يبول، ويأخذُ بولَه بيديه ليغسل به وجهه وهو يقول: اللهم اجعلني من التوايين، واجعلني من المتطهرين.

قال الضحاك بن مزاحم رحمه الله لرجل: ما تصنع بالخمر؟ قال: يهضم طعامي. قال: أما إنه يهضم من دينك وعقلك أكثر.

وقال الحسن البصري رحمه الله: لو كان العقل يُشترى، لتغالى الناس

في ثمنه، فالعجب ممن يشتري بماله ما يفسده!

أيها الناس:

في بلاد المسلمين، كثرت حوادث المخدرات، من مروجين ومدمنين، وكثرت الجرائم بتعاطيها، وأصبحت مكافحة المخدرات قضية تشغل الحكومات المختلفة. وكل هذا يتم في غياب وازع الإيمان.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واتقوا المسكرات والمخدرات، واتقوا الخمر فإنها أم الخبائث.

أخرج النسائي وابن حبان في صحيحه، أن عثمان رضي الله عنه قام خطيباً فقال:

«أيها الناس، اتقوا الخمر؛ فإنها أم الخبائث، وإن رجلاً ممن كان قبلكم من العباد، كان يختلف إلى المسجد، فلقيته امرأة سوء، فأمرت جاريتها فأدخلته المنزل. فأغلقت الباب، وعندها باطية من خمر، وعندها صبي، فقالت له: لا تفارقني حتى تشرب كأساً من هذا الخمر، أو تواقعني، أو تقتل الصبي، وإلا صحت، يعني صرخت، وقلت: دخل علي في بيتي، فمن الذي يصدقك؟ فضعف الرجل عند ذلك وقال: أما الفاحشة، فلا آتيها، وأما النفس، فلا أقتلها، فشرب كأساً من الخمر. فقال: زيديني فزادته، فوالله ما برح، حتى واقع المرأة وقتل الصبي..»

قال عثمان رضي الله عنه: فاجتنبوها، فإنها أم الخبائث، وإنه والله لا يجتمع الإيمان والخمر في قلب رجل، إلا يوشك أحدهما أن يذهب بالآخر..»

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ﷺ وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون ، واعلموا أن الإسلام تدرج في الخمر ، حتى ختمها الله بالتحريم ، ثم قال عز وجل ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١] ؛ فقال الصحابة رضوان الله عليهم : « انتهينا انتهينا » .

ويشمل تحريم الخمر ، جميع أنواع المسكرات ؛ لقوله ﷺ : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام » رواه مسلم .

وشارب الخمر ، مستحق للعقوبة الدنيوية وهو أن يُجْلَدَ ثمانين جلدة ، ويُحَدَّ شاربها وإن لم يسكر سواء أشرب الكثير أم القليل ، بإجماع الصحابة رضوان الله عليهم .

وإذا تكرر من الشارب الشرب ، وهو يُعاقَب ولا يرتدع ، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « يقتل في الرابعة عند الحاجة إليه ، إذا لم يتته الناس بدون القتل »

وهذا عين الفقه ؛ لأن الصائل على الأموال ، إذا لم يندفع إلا بالقتل قتل ، فما بالكم بالصائل على أخلاق المجتمع وصلاحه وفلاحه .

وشارب الخمر فاسق ، لا يُسَلَّمُ عليه ، ولا يعاد إذا مرض ، ولا تجاب دعوته ، قال البخاري رحمه الله في الأدب المفرد : «باب لا يسلم على شارب الخمر» وساق بإسناده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : « لا تسلموا

على شراب الخمر .

وقال أيضاً: « لا تعودوا شراب الخمر إذا مرضوا » .

وأما العقوبة الأخروية ، فقد روى أبو داود وابن ماجه والترمذي ، عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله الخمر ، وشاربها ، وساقبها ، ومبتاعها ، وبائعها ، وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه » وهو حديث حسن .

وقال ﷺ : « من شرب الخمر في الدنيا ، ثم لم يتب منها ، حرمها في الآخرة » رواه مسلم .

وقال ﷺ : « مدمن الخمر إن مات ، لقي الله كعابد وثن » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

وقال ﷺ : « كل مسكر حرام ، إن على الله عز وجل عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال ، قالوا : يا رسول الله ، وما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار ، أو : عصارة أهل النار » رواه مسلم .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية .

اتبعوا ولا تبغوا

الخطبة الأولى

الحمد لله حمد الشاكرين، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، خيرة خلقه، وخاتم رسله، دعا إلى الله على بصيرة؛ فاستجاب لدعوته الراشدون، وتخلف عنها الحمقى والمخذولون، كان قدوة صالحة، وأسوة حسنة؛ فأكمل الله به الدين، وأتم به النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، لم يدع شيئاً يقرب إلى الله إلا دعا إليه، ولا شيئاً يبعد عنه إلا حذر منه، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الأتقياء البررة، الذين استجابوا له، وأحيوا سنته، ومهدوا لمن بعدهم منهاجه وشرعته.

أما بعد:

فاعلموا أيها الناس . أن الدين الإسلامي كغيره من الشرائع السماوية، التي أرسل الله الرسل من أجلها، دين مبني على الاتباع والافتداء والتأسي . ولا يصير الدين ديناً إلا إذا كان الخضوع فيه للحق سبحانه؛ حيث إنه لا يفهم دين بلا خضوع ولا اتباع .

وإن خير هدي يتتهجه المفلحون، وخير طريق يسلكه الصالحون، هو هدي رسول الله ﷺ، والطريق الذي رسمه للأمة في كل اتجاه، فلا هدي أحسن من هديه، ولا طريق أقوم من طريقه، وهيئات هيئات، أن يأتي الخلف في أعقاب الزمن، بخير مما كان عليه السلف الصالح في عصور النور.

ومن غربة الدين، أن تلتصق به المحدثات، والمسلم الحصيف، يتجه نحو المعين الصافي، يشرب منه فيرتوي، ويقصد مصدر النور، يقتبس من إشعاعه فيهتدي، وإن النور لا يتم، إلا بهدى الله وكتاب الله وحكم الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

أيها الناس:

إن عصر المسلمين الحاضر، يعد عصر تجدد وانتقال، كما كانت عصور المسلمين الأولى، إبان اختلاطهم بالحضارات الفلسفية، والثقافات الإغريقية، حين أخذوا من أهلها وأعطوهم؛ فاختلط الناس بالغازين، وبأفكارهم الأجنبية عنهم؛ فجنحوا إلى شرعة الغير، إذا وافقت أهواءهم، وأشرأبت لها شهواتهم ورغباتهم.

وتمثل ذلك جلياً في أخذ أهل تلك العصور من المسلمين بما وضعه قادة الغزاة التتر، فيما أسموه بالياسق، الذي قال عنه ابن كثير رحمه الله: وفيه: «أن من زنى قتل محصناً أو غير محصن وكذلك من لاط قتل، ومن تعمد الكذب قتل، ومن بال في الماء الواقف قتل، ومن انغمس فيه قتل، ومن أطعم أسيراً أو سقاه بغير إذن أهله قتل» إلى غير ذلك من البدع الكفرية والترهات البشرية، المخالفة لمنهج الله وشرعته.

في عصور الانتقال، تتعدد مسالك الحياة، وتتزاحم المذاهب الدخيلة، والدعوات الدعية، ومكان السنة بين هذه الدعوات والمذاهب، أنها دعوة كمال، فكلما تردد الإنسان بين طريقين، دعتة السنة إلى خيرهما، وإن تردد العقل بين حق وباطل، دعتة السنة إلى الحق، وبهذا يعلم، أن دعوة السنة، كانت لأصعب الطريقين، وأشق الأمرين بالنسبة لأهواء البشر، وسبب ذلك، هو أن الانحدار مع الهوى سهل يسير، ولكن الصعود إلى العلو صعب وشاق، وإن الماء ينزل وحده حتى يستقر في قرارة الوادي، ولكنه لا يصعد إلى العلو، إلا بالجهد والمضخات.

إن إبليس عليه لعائن الله، قد احتال بفنون الحيل على الخلق، وأمال أكثرهم عن العلم، الذي هو مصباح السالك، فتركهم يتخبطون في ظلمات الجهل، ودخل عليهم في دينهم، من رهبانية ابتدعوها ما كتبها الله عليهم، جمعت لهم الإعراض عن علم الشريعة، مع سوء الفهم للمقصود منها فحدثت منهم بدع قبيحة، وألزمهم إبليس زاوية التعبد، وأظهر لهم من الخزعبلات والطقوس ما أوجب إقبال العوام عليهم فجعل إلههم هواهم.

عباد الله:

إن البدع المحدثه، فيها - مع سوء الظن بصاحب الرسالة، تشويه لجمال الدين، وطمس لمعالم السنن، وحيلولة بين الناس وبين دينهم الصحيح، والحكم الفصل في ذلك، هو الوقوف عند السنن، ورد الأمور إلى حكم الله وحكم رسوله ﷺ ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وكل سبيل غير صراط الله، عليه شيطان يدعو إليه فيحبيهم في البدعة، ويبعدهم عن السنة وهي مرحلة من مراحل الشيطان، التي يتدرج بها مع

المسلم؛ حيث يدعوه إلى شبهات من الابتداع، زيادة ونقصاً في الاعتقاد والعمل، والمتورطون في ذلك من الأمة كثير، وللشيطان في ذلك جولات وانتصارات، إما بأن يعتقد العبد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله، وأنزل به كتابه، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله، من الأوضاع والرسوم المحدثه في الدين، التي لا يقبل الله منها شيئاً.

قال ابن القيم رحمه الله: وهاتان البدعتان، في الغالب متلازمتان، قلّ أن تنفك إحداهما عن الأخرى كما قال بعضهم: تزوجت بدعة الأقوال ببدعة الأعمال؛ فاشتغل الزوجان بالعرس، فلم يفجأهم، إلا وأولاد الزنا يعيشون في بلاد الإسلام، تضح منهم العباد والبلاد إلى الله تعالى.

قال سفيان الثوري رحمه الله: البدعة، أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يرجع منها، والبدعة لا يرجع منها.

أيها الناس:

قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، فكل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدين في شيء. قال النووي رحمه الله: هذا الحديث، مما ينبغي حفظه، واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به كذلك.

وأهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، استقر كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ في سويداء قلوبهم، فمراد الله ومراد رسوله ﷺ عندهم، قد خلدا بهذين الوحيين، فلا تعقيب لأحد بعد الله ورسوله، ولا

يزالون منذ فتحت للفهم عقولهم، ووجه شطر العلم طلبهم، ينظرون في عقلياته وشرعياته، وأصوله وفروعه، إلى أن من عليهم الرب الكريم، فشرح لهم من معاني الشريعة، ما لم يكن في غيرهم، وألقى في نفوسهم أن الدين قد كُمل، وأن السعادة فيما وضع، والطلبية فيما شرع، وما سوى ذلك فضلال وبهتان. وأن العاقد عليهما بكلتا يديه، مستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وما سواها فأوهام وخيالات، تدرس بها رسوم السنة، حتى تَمُدَّ البدع أعناقها، فيشكل مرماها على جمهور المصلحين.

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداء من خلف

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمد ﷺ فلا تعبدوها؛ فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً». وقال مالك بن أنس: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً».

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «ما من نبي بعثه الله عز وجل إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وأن يحذر أمته من شر ما يعلمه لهم» رواه مسلم.

أيها المسلمون:

قال رسول الله ﷺ: «إنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» رواه أبو داود والترمذي.

والبدعة: هي ما أحدث في الدين مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وهي تؤخذ في الغالب؛ تقليداً لشيخ معظم، أو والد محترم، أو مجتمع تُقدس عاداته، أو أفكار تستحسن، أو مبادئ تستورد، وما وفد على الأمم الممزقة الحائرة، من دُخْلٍ وابتداع، كان نتاج التقليد الأعمى، والإنقياد الأرعن، الذي أدخل عليهم ما شاء الله أن يدخل، من البدع والأهواء.

والبدع سريعة الانتشار، تنجم كقرون المعزى، تستلفت أنظار الدهماء، فيعمى دونها الذين لا يبصرون، ويصم عنها الذين هم عن السمع معزولون، فتعود صغار البدع عندهم كبيرة، بعد أن كان أولها صغيراً يشبه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها فعظمت، وصارت ديناً يدان بها، فخالف أصحابها الصراط المستقيم.

ولما كثرت البدع وعم ضررها، ودام الإكباب على العمل بها، والسكوت من أهل العلم والفقهاء عن الإنكار لها، صارت وكأنها سنن مقررات، وشرائع محررات؛ فاختلط المشروع بغيره، والتبس بعضها ببعض إلا على من عصم الله، مع أن الداخل في هذا الأمر اليوم، فاقد المساعد إلا ما شاء الله، ينحو منحى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه؛ حيث يقول: «ألا وإني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وقصُح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبه ديناً لا يرون الحق غيره».

فرحم الله الخليفة ابن عبد العزيز؛ إذ التنبيه على البدع، أمر لا سبيل إلى إهماله، ولا يسع أحداً ممن له منة، إلا أن يأخذ بالحزم والعزم المشوبين بالحكمة والموعظة الحسنة، في بثه بعد تحصيله، وإن كره المخالف، فكراهيته لا حجة فيها على الحق ألا يرفع مناره، وألا تكشف وتجلي أنواره.

قال سيد التابعين أويس القرني رحمه الله: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم يدع للمؤمن صديقاً؛ نأمرهم بالمعروف، فيشتمون أعراضنا، ويجدون على ذلك أعواناً من الفاسقين، حتى والله رموني بالعظام، وأيم الله، لن أدع أن أقوم فيهم بحقه».

وقال الأوزاعي رحمه الله: «إن السلف رحمهم الله تشدد ألسنتهم على أهل البدع، وتشمئز قلوبهم منهم، ويحذرون الناس بدعتهم، ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون الناس، ما كان لأحد أن يهتك ستراً عليهم، ولا يظهر منهم عورة، الله أولى بالأخذ بها، وبالتوبة عليها، فأما إذا جأهروا، فنشر العلم حياة، والبلاغ عن رسول الله ﷺ رحمة، يعتصم بها على مصر ملحداً».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن عند كل بدعة كيد بها الإسلام، دليلاً من أوليائه يذُبُّ عنه، وينطق بعلامتها، فاغتنموا حضور تلك المواطن، وتوكلوا على الله، وكفى بالله وكيلاً».

فالبدعة إذاً أيها المسلمون، طوفان مغرق، والسنة الصحيحة سفينة نوح، من ركبها فقد نجا، ومن تركها غرق، ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واحذروا البدع، صغيرها وكبيرها، واعلموا أن من ابتدع بدعة في الإسلام فله وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]. قال رسول الله ﷺ: «من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئاً» رواه مسلم.

وقال ﷺ: «ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم كفل منها؛ لأنه

أول من سن القتل» رواه مسلم.

فليتق امرؤ ربه، ولينظر قبل الإحداث، في أي مزلة يضع قدمه؟ وهو لا يدري ما الذي يوضع له في ميزان سيئاته، مما ليس في حسابه ولا شعر أنه عمله.

اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأقوال والأعمال والأهواء والأدواء.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن البدع شأنها خطير، وشرها مستطير، ما فشت في قوم إلا كانت نذير شؤم وخطر، فكل ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، أو عمل على غير مراد الله ورسوله ﷺ فهو رد، كائناً ما كان، في العبادات، أو المعاملات، أو السياسات، أو الاقتصاد، أو الحكم أو الثقافة، أو غير ذلك.

وقد حذر السلف الصالح، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، أشد التحذير منها، ومن مرتكبيها، وقد أوصى الخليفة الراشد، عمر بن عبد العزيز أحد ولاته فقال: «أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون، بعدما جرت به سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة، فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة، إلا قد مضى قبلها، ما هو دليل عليها أو عبرة منها، فإن السنة إنما سنّها، من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق والتملق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فقد قصر قوم دونهم

فجفوا، وطمحَ عنهم أقوام فضلوا، وإنهم بين ذلك لعلی هدى مستقيم». .
ثم اعلّموا أيها المسلمون: أنه ما ظهرت بدعة وفشت، إلا وأماتت معها
سنة من السنن؛ لأن الأصل في البدعة، أنها لم تظهر إلا بعد ترك سنة؛
فكانت البدعة كالعلامة الدالة على ترك طريق السنة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: « ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه
بدعة، وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدعة وتموت السنن».

وروى الإمام أحمد، عن غُضَيْفِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ عَبْدُ الْمَلِكِ
ابنُ مَرْوَانَ. فَقَالَ: يَا أَبَا سَلِيمَانَ، إِنَّا قَدْ جَمَعْنَا النَّاسَ عَلَى أَمْرَيْنِ، فَقُلْتَ:
وَمَا هُمَا؟ قَالَ: رَفَعَ الْأَيْدِي عَلَى الْمَنَابِرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالْقَصَصُ بَعْدَ الْعَصْرِ
وَالصَّبْحُ. فَقُلْتَ: أَمَا إِنَّهَا أَمْثَلُ بَدْعَتِكُمْ عِنْدِي، وَلَسْتُ بِمُجِيبِكُمْ إِلَى شَيْءٍ
مِنْهَا. قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ مَا أَحْدَثَ قَوْمٌ بَدْعَةً، إِلَّا رَفَعَ مِثْلَهَا مِنَ السَّنَةِ،
فَتَمَسَّكَ بِسَنَةِ، خَيْرٌ مِنْ إِحْدَاثِ بَدْعَةٍ.

ثم اعلّموا أيها المسلمون:

أن فئاماً من الناس، ينشطون للعبادة في شهر رجب، وتتوق أنفسهم
لها، كأنما تنحدر من صيب، واستمعوا حفظكم الله، إلى كلام الحافظ ابن
رجب عن شهر رجب، فقد أتى بما به يقضي العجب، فقال رحمه الله في
لطائفه: « وقد روي أنه كان في شهر رجب حوادث عظيمة، ولم يصح شيء
من ذلك. وأما الصلاة فلم يصح في شهر رجب صلاةٌ مخصوصةٌ تختص
به، لا عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه. والأحاديث المروية في فضل صلاة
المرغائب، في أول ليلة جمعة من شهر رجب، كذب وباطل لا تصح. وأما
الاعتماد، فقد أنكرت عائشة رضي الله عنها أن يكون النبي ﷺ اعتمر في
شهر رجب؛ بل هو كغيره من الشهور. وأما الصيام، فلم يصح في فضل

صوم رجب بخصوصه، شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وقد أحدث الناس في هذا الشهر عبادات لم يشرعها الله ولا رسوله، ومن ذلك تعظيم أول خميس منه، وليلة أول جمعة منه فإن ذلك إنما حدث في الإسلام بعد المائة الرابعة، ولا يجوز تعظيم هذا اليوم؛ لأنه مثل غيره من الأيام».

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

ولذكر الله أكبر

الخطبة الأولى

الحمد لله ذاكر من ذكره، يتولى الصالحين ويثيب الذاكرين، ويزيد من شكره، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، فما خاب من ذكره، وما انقطع من شكره. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده وسوله سيد الذاكرين، وقدوة الشاكرين، صل الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه الأتقياء البررة. . .

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوه في السر والعلن، اتقوه وعبدوه، واسجدوا له وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

أيها الناس:

إن قلوب البشر طراً، كغيرها من الكائنات الحية، التي لا غنى لها عن أي مادة من المواد التي بها قوام الحياة والنماء، ويتفق العقلاء جميعاً، أن القلوب قد تصدأ كما يصدأ الحديد، وأنها تظماً كما يظماً الزرع، وتجف كما يجف الضرع؛ ولذا، فهي تحتاج إلى تجلية وري، يزيلان عنها الأصداء

والظماً، والمرء في هذه الحياة، محاط بالأعداء من كل جانب؛ نفسه الأمانة بالسوء، تورده موارد الهلكة، وكذا هواه وشيطانه، فهو بحاجة ماسة، إلى ما يحرزه ويؤمنه، ويسكن مخاوفه، ويطمئن قلبه. وإن من أكثر ما يزيل تلك الأدواء، ويحرز من الأعداء، ذكر الله والإكثار منه لخالقها ومعبودها؛ فهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها.

قال ابن القيم رحمه الله: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسّمك، فكيف يكون السمك إذا فارق الماء؟

عباد الله:

العلاقة بين العبد وبين ربه، ليست محصورة في ساعة مناجاة في الصباح، أو في المساء فحسب، ثم ينطلق المرء بعدها، في أرجاء الدنيا غافلاً لاهياً، يفعل ما يريد دون قيد ولا محكم؛ كلا هذا تدين مغشوش، العلاقة الحقة، أن يذكر المرء ربه حيثما كان، وأن يكون هذا الذكر مقيداً مسالكة بالأوامر والنواهي، ومشعراً الإنسان بضعفه البشري، ومعيناً له على اللجوء إلى خالقه في كل ما يعتريه.

لقد حث الدين الحنيف، على أن يتصل المسلم بربه، ليحيا ضميره، وتزكو نفسه، ويتطهر قلبه، ويستمد منه العون والتوفيق؛ ولأجل هذا، جاء في محكم التنزيل والسنة النبوية المطهرة، ما يدعو إلى الإكثار من ذكر الله عز وجل على كل حال؛ فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وقال سبحانه: ﴿وَالذِّكْرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذِّكْرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ

لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ [الأحزاب: ٣٥]. وقال جل شأنه: ﴿ وَأَذْكُرُوا
 اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿ فَأَذْكُرُوا لِي آذَانَكُمْ ﴾
 [البقرة: ١٥٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان، ثقيلتان
 في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» متفق عليه.

وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في
 درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا
 عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وذلك ما هو يا رسول
 الله، قال: ذكر الله عز وجل» رواه أحمد.

وقال ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة»
 رواه الترمذي وحسنه الحاكم وصححه.
 عباد الله:

ذكر الله تعالى، منزلة من منازل هذه الدار، يتزود منها الأتقياء،
 ويتجرون فيها، وإليها دائماً يترددون، الذكر قوت القلوب الذي متى
 فارقتها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة الديار التي إذا تعطلت عنه
 صارت دوراً بوراً، وهو السلاح الذي يقاتل به قطاع الطريق، والماء الذي
 يطفأ به لهب الحريق.

بالذكر أيها المسلمون، تُسْتَدَفَعُ الآفات، وتُسْتَكشَفُ الكربات، وتهون
 به على المصائب الملمات، زين الله به السنة الذاكرين، كما زين بالنور
 أبصار الناظرين.

فاللسان الغافل، كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء.
 الذاكر الله، لا تدنيه مشاعر الرغبة والرغبة من غير الله، ولا تقلقه أعداد القلة

والكثرة، وتستوي عنده الخلوة والجلوة، ولا تستخفه مآرب الحياة ودروبها.
ذكر الله عز وجل، باب مفتوح بين العبد وبين ربه، ما لم يغلقه العبد
بغفلته.

قال الحسن البصري رحمه الله: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في
الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب
مغلق.

إن الذنوب كبائرها وصغائرها لا يمكن أن يرتكبها بنو آدم، إلا في حال
الغفلة والنسيان لذكر الله عز وجل؛ لأن ذكر الله تعالى، سبب للحياة
الكاملة التي يتعذر معها أن يرمي صاحبها بنفسه في أتون الجحيم، أو
غضب وسخط الرب العظيم، وعلى الضد من ذلك، التارك للذكر،
الناسي له، فهو ميت، لا يبالي الشيطان أن يلقيه في أي مزبلة شاء.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْسُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾
[الزخرف: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً
ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا
سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس.

وكان رجل رديف النبي ﷺ على دابة، فعثرت الدابة بهما، فقال
الرجل: تعس الشيطان؛ فقال له النبي ﷺ «لا تقل: تعس الشيطان؛ فإنه عند
ذلك يتعاضم حتى يكون مثل البيت، ولكن قل: بسم الله. فإنه يصغر عند
ذلك حتى يكون مثل الذباب» رواه أحمد وأبو داود وهو صحيح.

وحكى ابن القيم رحمه الله عن بعض السلف، أنهم قالوا: إذا تمكن
الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرعه الإنسي، كما يصرع الإنسان

إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين، فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنسي.

الإكثار من ذكر الله، براءة من النفاق، وفكاك من أسر الهوى، وجسر يصل به العبد إلى مرضاة ربه، وما أعد له من النعيم المقيم، بل هو سلاح مقدّم، من أسلحة الحروب الحسية التي لا تثلم، فقد ثبت عن النبي ﷺ في فتح القسطنطينية: «إذا جاءوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر؛ فيسقط أحد جانبيها، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا.... الحديث» رواه مسلم في صحيحه.

أيها الناس:

ذكر الله تعالى أشرف ما يخطر بالبال، وأطهر ما يمر بالفم، وتنطق به الشفتان، وأسمى ما يتألق به العقل المسلم الواعي، والناس بعامّة قد يقلقون في حياتهم أو يشعرون بالعجز أمام ضوائق أحاطت بهم من كل جانب، وهم أضعف من أن يرفعوها إذا نزلت، أو يدفعوها إذا أوشكت، ومع ذلك فإن ذكر الله عز وجل، يُحيي في نفوسهم استشعار عظمة الله، وأنه على كل شيء قدير، وأن شيئاً لَنْ يفلت من قهره وقوته، وأنه يكشف ما بالمعنى إذا ألم به العناء، حينها يشعر الذاكر بالسعادة وبالطمأنينة يغمران قلبه وجوارحه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

أيها المسلم الكريم:

لا تخش غمّاً، ولا تشكُ همّاً، ولا يُصيبك قلق، ما دام قرينك هو ذكر الله. يقول جل وعلا في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في

ملاً ذكرته في ملاً خير منهم» رواه البخاري ومسلم.

واشتكى علي وفاطمة رضي الله عنهما إلى رسول الله ﷺ، ما تواجهه من الطحن والعمل المجهد، فسألته خادمًا، فقال رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم، إذا أويتما إلى فراشكما، فسبحا الله ثلاثًا وثلاثين، واحمداه ثلاثًا وثلاثين. وكبراه أربعًا وثلاثين؛ فتلك مائة على اللسان وألف في الميزان».

فقال علي رضي الله عنه: ما تركتها بعدما سمعتها من النبي ﷺ، فقال رجل: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين. رواه أحمد وليلة صفين: ليلة حرب ضروس دارت بينه وبين خصومه رضي الله عنهم أجمعين.

عباد الله:

لو كلف كل واحد منا نفسه، في أن يحرك جفنيه، ليرى يمينه ويسرة، مشاهد متكررة، من صرعى الغفلة وقلة الذكر، أفلا ينظر إلى ظلمة البيوتات الخاوية من ذكر الله تعالى، أو لا ينظر إلى المرضى والمنكسرين، أو كلهم الله إلى أنفسهم لما نسوه، فلم يجبروا عظمًا كسره الله، وازدادوا مرضًا إلى مرضهم، أو لا ينظر إلى المسحورين والمسحورات، وقد تسللت إليهم أيدي السحرة والمشعوذين، والدجاجلة الأفاكين، فانتشلوا منهم الهناء والصفاء، واقتلعوا أطناب الحياة الهادئة، فخر عليهم سقف السعادة من فوقهم.

أو لا يتفكر الواحد منكم في أولئك المبتلين بمس الجان ومردة الشياطين يتوجعون، ويتقلبون ثقلب الأسير على الرمضاء، تتخبطهم الشياطين من المس فلا يقر لهم قرار، ولا يهدأ لهم بال، أرأيتم عباد الله، لو كلف كل واحد منكم نفسه بهذا، أفلا يسائل نفسه أين هؤلاء البؤساء من

ذكر الله عز وجل؟! أين هم جميعاً من تلك الحصون المكيئة، والحروز الأمانة، التي تعتقهم من عبودية الغفلة والأمراض الفتاكة؟! أما علم هؤلاء جميعاً، أن لدخول المنزل ذكراً وللخروج منه؟! أما علموا أن للنوم ذكراً وللإستيقاظ منه؟! أو ما علموا أن للصباح من كل يوم ذكراً، وللمساء منه؟! بل حتى في مواجهة الزوج أهله، بل وفي دخول الخلاء - أعزكم الله - والخروج منه؟! بل وفي كل شيء ذكر لنا منه الرسول ﷺ أمراً، علمه من علمه وجهله من جهله .

والواقع أيها الناس، أنه إنما خذل من خذل من أمثال هؤلاء الغافلين، لأنهم على عجزهم وضعفهم، ظنوا أنفسهم شيئاً مستقلاً، لا سباق لهم في ميدان ذكر الله، بينما نجد آخرين عمالقة في قوتهم، وهم مع ذلك، يرون أنفسهم صفرأ من دون ذكر الله تعالى، فكانت النتيجة أن طرح الله البركة واليمن على من ذكره، فنجوا وأفلحوا، ورفع رضوانه وتأييده عن من اعتز بنفسه، فتركه مكشوف السوأة عريان العورة .

وفي حضارتنا المعاصرة، كثر المثقفون، وشاعت المعارف الذكية، ومع ذلك كله، فإن اضطراب الأعصاب وانتشار الكآبة داء عام. ما الأمر وما السبب في ذلك؟ إنه خواء القلوب من ذكر الله، إنها لا تذكر الله كي تتعلق به وتركن إليه، بل كيف تذكر، من تتجاهله؟! !!

إن الحضارة الحديثة، والحياة المادية الجافة، مقطوعة الصلة بالله إلا من رحم الله، والإنسان مهما قوي فهو ضعيف، ومهما علم فعلمه قاصر وحاجته إلى ربه أشد من حاجته إلى الماء والهواء، وذكر الله في النوازل عزاء للمسلم ورجاء ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]. ولو تنبه المسلمون لهذا، والتزموا الأوراد والأذكار، لما تجرأ بعد ذلك ساحر، ولا احتار مسحور، ولا قلت بركة، ولا تكدر صفو، ولا تنخص هناء .

عباد الله:

هناك من الناس من يذكرون الله، ولكنهم لا يفقهون معنى الذكر. فتصبح قلوبهم بعيدة عن استشعار جلال الله، وقدره حق قدره، وذكر الله عز وجل، كلام تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، غير أن الناس مما ألفوا منه، وما جهلوا من معناه، لا يرددونه إلا كما يرددون كلاماً تقليدياً، وإلا فهل فكر أحد في كلمة «الله أكبر» التي هي رأس التكبير وعماده، وهي أول ما كلف به الرسول ﷺ حين أمر بالإندار ﴿يَتَأْتِيَ الْمَدِينَةَ ۗ فَمُنْذِرٌ ۙ وَرَبِّكَ فَكْبِيرٌ ۙ﴾ [المدثر: ١ - ٣].

إنها كلمة عظيمة، تحيي موات الأرض الهامدة، لصوتها هدير كهدير البحر المتلاطم، أو هي أشد وقعاً.

إنها كلمة، ينبغي أن تدوي في أذن كل سارق وناهب؛ لترتجف يده، ويهتز كيانه. وكذا تدوي، في أذن كل من يهيم بإثم أو معصية، ليقشعر ويرتدع، وينبغي أن تدوي في أذن كل ظالم معتد متكبر، ليتذكر إن كان من أهل الذكرى، أن هناك إلهاً أقوى منه، وأكبر من حيلته واستخفافه ومكره، أخذه أقوى من أخذ البشر ومكرهم وخديعتهم، فالله أكبر، الله أكبر كبيراً.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون، وائق الله أيها المسلم الغافل، فإن كنت بعد هذا، قد أحسست أنك ممن قد فقد قلبه بسبب غفلته، فلا تيأس من وجوده بذكر الله، فقد يجمع الله الشئتين بعدما يظنان كل الظن ألا تلاقيا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلَهِكُمُ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.

أما بعد:

فاتقوا الله معشر المسلمين، واعلموا وفقكم الله، أن لسائل أن يسأل: ما بال ذكر الله سبحانه، مع خفته على اللسان وقلة التعب منه، صار أنفع وأفضل، من جملة العبادات مع المشقات المتكررة فيها؟

فالجواب: هو أن الله سبحانه جعل لسائر العبادات مقداراً، وجعل لها أوقاتاً محدودة، ولم يجعل لذكر الله مقداراً ولا وقتاً، وأمر بالإكثار منه بغير مقدار، ولأن رؤوس الذكر هي الباقيات الصالحات؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «خذوا جنتكم. قلنا: يا رسول الله، من عدو قد حضر؟ قال: لا، جنتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. فإنهن يأتين يوم القيامة منجبات ومقدمات وهن الباقيات الصالحات» رواه الحاكم وصححه.

ثم ليعلم كل مسلم صادق، أن المؤثر النافع، هو الذكر باللسان على الدوام، مع حضور القلب؛ لأن اللسان ترجمان القلب، والقلب خزانة مستحفظة الخواطر والأسرار، ومن شأن الصدر، أن ينشرح بما فيه من ذكر،

ويلدّ إلقاءه على اللسان، ولا يكتفي بمخاطبة نفسه به في خلواته حتى يفضي به بلسانه، متأولاً قول الله عز وجل: ﴿وَأذْكُرَّ تَبَتُّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

فأما الذكر باللسان، والقلب لاه، فهو قليل الجدوى، قال رسول الله ﷺ: «اعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه» رواه الحاكم والترمذي وحسنه. وكذا حضور القلب في لحظة بالذكر، والذهول عنه لحظات كثيرة، هو كذلك قليل الجدوى؛ لأن القلب لا يخلو من الالتفات إلى شهوات الدنيا، ومن المعلوم بداهة أن المتلفت لا يصل سريعاً؛ ولذا فإن حضور القلب على الدوام أوفي أكثر الأوقات هو المقدم على غيره من العبادات؛ بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية.

ولذا فإن رسول الله ﷺ حذر من أن تنفض المجالس دون أن يذكر الله عز وجل فيها بقوله: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة» رواه أبو داود والحاكم.

فهذا رسول الله ﷺ يمقت مجالس الغافلين، وينهى عن كل تجمع خلا من ذكر الله، وأن المجالس التي يُنسى فيها ذكر الله، وتنفض عن لفظ طويل، حول مطالب العيش، وشهوات الخلق، في تهوئش وتشويش، وهمز ولمز؛ هي مجالس تنته، لا شيء فيها يستحق الخلود، إنما يخلد ما اتصل بالآخر سبحانه وتعالى، ولذا فقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «من جلس في مجلس فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. إلا كفر الله له ما كان في مجلسه ذلك» رواه الترمذي وابن ماجه.

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء

الخطبة الأولى

الحمد لله ، الذي أعلى كرامة بني الإنسان ، وجعلهم خلفاءه في الأرض ، كتب على نفسه الرحمة وأزال عن الناس بدينه الغمة ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أبداع الكون بقدرته ، وملك الخلق بربوبيته ، خلقت الطرق كلها إلا طريقه ، وفسدت المشارب طراً إلا رحيقه ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ﷺ ، وصفيه وخليله ، نشر الرحمة والتراحم بين الناس ، فما أمر حتى أقنع ، وما بنى حتى جمع ، فكان سيد الرحماء ، وإمام الحكماء ، تركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله الأخيار البررة ، وصحابته والتابعين لهم بإحسان :

أما بعد :

فيا عباد الله ، قررة عين المؤمن وطمانينة قلبه تبدو واضحة جليلة في تقواه لربه ؛ فإن تقوى الله هي أساس كل صلاح ، وسلوان كل كفاح ،

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء]:

. [١٣١]

أيها المسلمون:

الأخلاق المثلى عماد الأمم وقوام الشعوب، وهي باقية ما بقيت أخلاقهم، هذه حقيقة مسلمة، لا ينازع فيها إلا مريض لم ينقه، أو مغرض لا يفقه، كما أن من المسلم أيضاً، أن تدهور الأخلاق ناجم عن نوس الوازع الديني في النفوس، الوازع الديني الزاجر، والمنجي من النهابر، الوازع الديني الذي يمتلك عنان النفس، وسيطر عليها فيكبح جماحها، ويهتن دمعها، ويغسلها بالنقاخ، الذي يبرد الفؤاد.

وإن من أعظم الأخلاق المندوبة، والسجايا المطلوبة، خلق الرحمة والتراحم بين المسلمين. ولا غرو؛ إذ هو مفتاح القبول لدى القلوب، ولا جرم، أن فقدان الرحمة بين الناس، فقدان للحياة الهائنة، وإحلال للجاهلية الجهلاء، والأثرة العمياء.

ولقد نالت الجاهلية من الرحمة أفسى منال، حتى وكأنا وأدتها في مهدها، ولقد كشف الله في كتابه عن فئام من الناس والأمم، ممن فقدوا الرحمة، وكأنا قدت قلوبهم من صخر صلد، تمثلت هذه الغلظة والقسوة، في أصحاب الأخدود، الذين أضرموا النيران، وخذوا الأخاديد في أفواه السكك، وجنبات الطريق، وكان ذلك حينما آمن الناس بما جاء به الغلام المؤمن، فكان من لم يرجع عن دينه يقحم في النار، فتنهش جسده نهشاً، حتى لا يرى إلا فحمة أو رماداً، ولقد جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتعاعست أن تقع في النار، فقال لها الغلام: « يا أماه، اصبري فإنك على الحق » القصة رواها مسلم في صحيحه .

﴿ قِيلَ اصْحَبْ الْأَخْذُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُرِّعَتْهَا فُجُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ [الفجر: ٤-٨].

لقد كشف الله في كتابه عن فقدان الرحمة وانقض عليها، فلم يرع حق أم ولا رضيع، ولم يدع صغيراً ولا كبيراً في عافية: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤].

﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمُرْصَادِ ﴿١٤﴾ [الفجر: ١٠-١٤].

قال أبو رافع: أوتد فرعون لامراته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحماً عظيمة حتى ماتت. ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَّانَ وَحُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ [القصص: ٨]. ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْتَكَاثُرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾

[القصص: ٤١].

لقد كشف الله في كتابه العزيز، عن ممارسات شاذة، ممن فقدوا الرحمة أو أماتوها، وعن مكائد خبث، تقود يهود بني إسرائيل، الذين هم أكثر البشر قسوة وفضاعة، وقلوبهم كالحجارة الصماء، بل هي أشد قسوة منها ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤]، فكشف الله خبثهم، وبين أنهم قتلة ومردة، من قديم الزمان: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٢]. وبما فعله يهود؛ يحكم الله عليهم باللعنة، والحرمان من الرحمة ﴿ فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْيسِيَّةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ١٣].

عباد الله:

إن الله جل وعلا حينما بعث رسله جعل تمكين الأخلاق الفاضلة في النفوس أصلاً من أصول رسالاتهم ، وأساساً من أسس دعواتهم ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ هو من قال فيه ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] ، ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

وقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم محاسن الأخلاق» رواه أحمد والبخاري في الأدب والحاكم وصححه .

لقد تجلت رحمة المصطفى ﷺ، في جوانب كثيرة من حياته ، حتى لقد أصبحت سمة بارزة . لا يحول دونها ريبة أو قتر ، في كل شأن من شئونه ، فهو عطوف رحيم أرسله إلى البشرية رحمن رحيم ، وأنشز لحمه وبل عروقه ، إملاج حليلة السعدية له ، فكان له من اسمها الحلم والسعادة . أخرج مسلم في صحيحه : أن رسول ﷺ تلا قول الله: ﴿ رَبِّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦] . وتلا قول عيسى عليه السلام: ﴿ إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨] ، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي وبكى ، فقال الله عز وجل : يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فسأله ، فأخبره ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك » . الله أكبر ما أعظم المصطفى ﷺ ، وما أرحمه بأبي هو وأمي .

لقد تجلت رحمة المصطفى بأمته ، حتى بلغت تعليم الجاهل ، وتوجيه

الغافل ، ومناغاة العيال والصبيان ، أقسمت بنت من بناته ﷺ ليأتينها لأجل ابن لها قبض ، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال ، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ، ونفسه تتقعقع ، ففاضت عيناه فقال سعد : يا رسول الله ما هذا؟ قال : « هذه رحمة ، جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » رواه البخاري .

إن رحمة المصطفى ﷺ لم تقف عند هذا الحد فحسب ، بل لقد حوت رحمته طبقات المجتمع كلها ، أرامل وأيتام ، نساء ومساكين ، صغاراً وكباراً ، ولم يقتصر ذلك على فعله ، بل عداه بقوله : « الراحمون يرحمهم الرحمان ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » رواه أبو داود والترمذي .

وقال ﷺ : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » رواه مسلم . وقال في التحذير من الإشفاق على الناس ، ونزع الرحمة عنهم ، والنغرة عليهم : « اللهم من ولي من أمر المسلمين شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر المسلمين شيئاً فرفق بهم فرفق به » رواه مسلم .

لقد تجلت رحمة المصطفى ﷺ بالخلق ، فتعدت نطاق البشرية إلى نطاق الحيوانات العجماوات ، فلقد دخل ﷺ حائطاً لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل ، فلما رأى النبي ﷺ حن الجمل وذرفت عيناه ؛ فأتاه رسول الله ﷺ فمسح ذفره فسكت ، فقال : « من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ » فجاءه فتى من الأنصار فقال : لي يا رسول الله فقال له : « أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها ، فإنه شكى إلي أنك تجيئه وتؤذيه » رواه أبو داود .

فيا لله العجب! حتى البهائم ألهمت أن الرسول ﷺ رحمة مهداة، وأنه نبي الرحمة. فأين أنتم عباد الله من قصة هذا الجمل، أين أنتم من إيذاء تلك البهائم، ناهيكم عن إيذاء البشر والاستخفاف بهم، أين أنت يا راعي الغنم؟ أين أنت يا سائق الإبل؟ أين أنت يا راعي الأسرة؟ أين أنت يا راعي المدرسة؟ وأنت يا راعي الوظيفة؟ اتقوا الله جميعاً فيمن استرعاكم ولئن كان المصطفى ﷺ قد مات، فلا تصل البهيمة بالشكوى إليه، أو البشر بطلب النصرة منه، فإن ربه حي لا يموت، يراكم ويسمعكم، ولكن يؤخركم إلى أجل لا ريب فيه ﴿ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أيها المسلمون:

بتجلى خلق الرحمة في ذات المصطفى ﷺ عالج محو الجاهلية، وقطع ظلامها، بأنوار الرحمة والعطف، فكفكف من نزوات الجاهلية، وقسوة قلوبها، وأقام أركان المجتمع، على دعائم الرحمة والشفقة وحسن التخلق، واستنشاق الننف من محاسن الشريعة. وإن كمال العلم في الرحمة، ولين الكلام مفتاح القلوب، يستطيع المسلم من خلاله، أن يعالج أمراض النفوس، وهو مطمئن القلب، رخي البال، وإلا انفض الناس من حوله، فعاشوا جهالاً وماتوا جهالاً، وذلك هو الشقاء، وهو سببه وعلته.

عباد الله:

في طوايا الظلام، تدرس الأخلاق كما يدرس وشي الثوب، بله ما كان في الصالحين المخلصين. لقد طغى طوفان المادة الجافة، فأغرق جسيم الرحمة إلا ما انمّص منه. ولقد بدت نواكير الحياة عند البعض: « إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب، وإن لم تجهل يجهل عليك، وإن لم تتغدى بزبد

تعشى بك» بل لقد صور العالم لدى البعض ، أنه دنيا فسيحة ، يحدها من الشرق الرغيف ، ومن الغرب الدينار ، ومن الشمال الجاه ، ومن الجنوب الشيطان .

لقد رجعت بعض النفوس مُندأةً الجسم بعرق القسوة والغلظة ، وإذا تندت الجسوم ، وجب نزع المبلول ، وإلا فهي العلة ما منها بد ، وهي ناغلة النفوس .

ما أشده مضمضاً ، ما تعانیه الأمة الإسلامية اليوم ، إن أمرها ليذهب فرطاً ، وإن الغفلة قد بلغت من الناس مبلغ من يظن أنه حي في الحياة ، فلا تجد إلا قلباً أير وصدراً وحرّاً ، ولساناً ولقاً ينصنص . إلا من عصم ربي وقليل ما هم .

لقد مضى عهد السلف الصالح ، فسخفت الحياة من بعدهم ، وصاروا ككتب قد انطوت على حقائقها ، وختمت كما وضعت ، لا يستطيع أحد ، أن يخرج للناس من حقيقتهم نصف حقيقة ، ولا شبه حقيقة ، ولا تزويراً على حقيقة ، إنما هي لا غير ، الحقائق كلها قد اكتنفوها . ولقد أثبتوا بتجلي الرحمة في قلوبهم ، بأنه ليس في نفوسهم وطباعهم إلا الإخلاص ، وإن كان حرماناً لا المذق ، وإلا المروءة ، وإن كانت مشقة ، وإلا محبة الصادقين وإن كانت ألماً ، وإلا الجد وإن كان عناء ، وإلا القناعة وإن كانت فقراً .

إن من النجاة الفكر في البلاء ، والتنطس في الأمور ، وإذا نُبِهت العزيمة تغلغل أثرها في البدن كله ، فيكون علاجاً يحدث به النشاط ، ويرهف منه الطبع ، وتجم عليه النفس ، وإن هذا لهو الدواء إذا استشرى الداء ، وهو النصر حين تخذل القوة .

إن النفس، ينبغي أن تُعنتَ بعد كل كمال فيما هو أكمل منه، وبعد المهاه فيما هو الأحسن، وأن تستحثَّ من كل هجة راحة بفجر نصب جديد.

ولو أدرك المسلم أن أول حق للمسلمين عليه، أن يحمل في نفسه معنى الناس، لا معنى نفسه، لعلم أن من فاق الناس بنفسه الكبيرة دون تئس، كانت عظمته في أن يفوق نفسه الكبيرة.

إن الناس أحرار، متى حكمتهم معاني الرحمة والشفقة، والتواد والتعاطف، تحت ظل الإسلام الوارف، قال ﷺ: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه مسلم.

وبذلك كله، يتصل ما بين العظيم والسوقة، وما بين الغني والفقير، اتصال الرحمة في كل شيء، أما ربط الرحمة والتراحم بالدينار والدرهم، في مقابل استبعاد تلك المعاني الحيوية، التي ينبغي أن تسود المجتمع، فهو المائج بالحياة بعضها في بعض، وهو الذي يقلب الموازين، ويجعل الصحيح والفاقد، في ملك الإنسان لا في عمله، وتكون المنفعة الذاتية، هي الأمر الناهي، فيرى كل إنسان كأنما ديناره ودرهمه، أكبر قيمة من دينار الآخر ودرهمه، فإذا أعطى نقص فغش، وإذا استنصَّ، زاد فسرق، ويتعامل الناس في التعاطف والتراحم، على أساس من المعدة لا من الروح، وتكون يقظة التاجر، من غفلة الشاري.

فإذا عظمت الأمة الدينار والدرهم، فإنما تمزج النفاق والطمع والقسوة، وإنما هيبة الإسلام في الرحمة بالنفس لا بالمال، وفي بذل الحياة، لا في المعك فيها، وفي أخلاق الروح لا في أخلاق اليد، وفي وضع حدود الفضائل بين الناس، لا في وضع حدود الدراهم، وفي جعل أول الثروة

الرحمة والشفقة، لا الذهب والفضة، هذا هو الإسلام الذي غلب الأمم؛ لأنه قبل ذلك غلب المظيطاء والقسوة والجشع.

والسلف الصالح، خير من ترجم معاني الرحمة إبان عيشتهم، فهذا هو الصديق أبو الصديقة، خليفة رسول الله ﷺ، وثاني اثنين إذ هما في الغار، الذي جبل نفسه على الرحمة والتراحم، منذ نعومة أظفاره، وما سمي بالعتيق، إلا لكثرة ما يعتق من العبيد رحمة بهم، وإنقاذاً لهم من سطوة غلاظ الأكباد وشرار الخلق، كان رضي الله عنه يتعهد امرأة عمياء في المدينة، يقضي لها أشغالها سرّاً، إبان خلافته للمسلمين، كما أنه كان يحلب للحمي أغنامهم، فلما بويع بالخلافة، قالت جارية منهم: الآن لا يحلب لنا منائح دارنا. فسمعها فقال: بلى لأحلبنها لكم، وإنني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه.

ولقد بلغت الرحمة مجلاة أوج صورها، في الخليفة الفاروق رضي الله عنه، الذي بلغ من القسوة والغلظة في جاهليته أعظمها، فلما ذاق طعم الإيمان، انقلبت نفسه رأساً على عقب، وكأنه لم يكن قط قاسي النفس، غليظ القلب، فلما ولي الخلافة، خطب الناس مطمئناً لهم قائلاً:

«اعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحداً يظلم أحداً، أو يعتدي عليه، حتى أضع خده وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يدعن للحق، وإنني بعد شدتي تلك، أضع خدي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف»، فرحم الله عمر الفاروق رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين.

فاتقوا الله معاشر المسلمين، واعلموا أن المرء المسلم، مطالب بالرحمة

والتراحم، بما استطاع من تحلم وتصبر، وعليه أن يترفق أولاً في أهله،
وثانياً في رعيته وجيرانه، ومواطنيه وموظفيه، فلا يكون عوناً لزوجته على
النشوز، ولا لأبنائه على العقوق، ولا لجيرانه على الإساءة، ولا لرعيته
على التمرد، ولا للناس كافة، على هجره ومباغضته.

واعملوا بمثل قول المصطفى ﷺ: « إن من إجلال الله تعالى، إكرام ذي
الشبيبة المسلم، وحامل القرآن، غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي
السلطان المقسط » رواه أبو داود، وحذار من الوقوع فيما حذر منه
المصطفى ﷺ بقوله: « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا »
رواه أبو داود.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفني وإياكم .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأتباعه وإخوانه.

أما بعد؛ فيا أيها الناس:

لقد تجلت رحمة الله تعالى بالبشرية في شهر الله المحرم، بأن نجي الله كليمة موسى من كيد فرعون وجنوده، فنبذ الله في اليم وهو مليم، وكان ذلك في اليوم العاشر من شهر الله المحرم، وهو يوم له فضيلة عظيمة، وحرمة قديمة، شرع المصطفى ﷺ صيامه. وقد صامه موسى عليه السلام شكراً لله عز وجل، وصامه نبينا ﷺ وأمر بصيامه.

ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة، فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟» قالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: «فنحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه» وقال عنه ﷺ: «أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله» رواه مسلم.

وتأصيلاً لقاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهي مخالفة اليهود والنصارى المشركين، وقطعاً لمادة التشبه بهم من كل طريق، عزم

المصطفى ﷺ في آخر عمره على ألا يصومه مفرداً مخالفةً لأهل الكتاب فقال: « فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع، فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ » رواه مسلم.

فيستحب لكم أيها المسلمون صيام هذا اليوم ، اقتداءً بالنبي ﷺ ، وكل خير في اتباع ما جاء به ، وكل شر في ابتداء ما لم يأت به .
هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية .

* * *

حاسبوا أنفسكم

الخطبة الأولى

الحمد لله، الواصل الحمد بالنعمة، والنعمة بالشكر، نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه، ونستعينه على نفوسنا البطاء عما أمرت به، السراع إلى ما نهيت عنه، ونستغفره مما أحاط به علمه وأحصاه كتابه، علم غير قاصر، وكتاب غير مغادر، خلق الإنسان وبصره بما في الحياة من خير وشر ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق كل شيء فقدره تقديراً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل؛ فإن تقوى الله دار حصن عزيز، تمنع أهلها وتحرز من لجأ إليها، وبها تقطع حمة الخطايا، فهي النجاة غداً، والمنجاة أبداً.

أيها الناس:

إن للأمم مع نفوسها غفوة تعقبها غفوات، وللأفراد المنفردين كما للأمم والشعوب، سواء بسواء، وإذا كانت غفوة الفرد تعد بالساعات، فإن غفوة الأمم تعد بالسنين؛ لأن السنة في حياة الأمة تقوم مقام اليوم أو بعضه في حياة فرد من الأفراد.

وحينما تتعرض الأمم للنكبات تزلزلها وتبلبلها، يكون من المتحتم على أفرادها ومجتمعاتها، أن يعودوا إلى أنفسهم؛ ليتبينوا مواضع أقدامهم، ويبصروا مواقع خطواتهم؛ لأنهم يصبحون حيثئذ، في أشد الحاجة إلى عملية تجديد، أو بناء جديد؛ حتى تعود نفوسهم لبنات صالحة، لإقامة صرح الأمة المشيد، ولذلك يقول الحق جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. ويقول جل شأنه: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. ويقول المصطفى ﷺ: «عليك بخاصة نفسك» أخرجها الأربعة إلا النسائي وحسنه الترمذي.

عباد الله:

إن الفساد في الدنيا، إنما يكون ظاهراً جلياً، حينما لا يتوقع المجتمع حساباً؛ لا يتوقع حساباً من رب قاهر، أو من ولي حاكم، أو من مجتمع محكوم، أو من نفس لوأمة. وحينما لا يتوقع المجتمع حساباً على تصرفاتهم، فإنهم ينطلقون في حركاتهم كما يحبون، ويموجون كما يشتهون، وكما تهوى أنفسهم، فيتقلبون على الحياة ودروبها، بلا زمام ولا خطام، فيتشبهون بأهل النار من حيث يشعرون أو لا يشعرون ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿[النبا: ٢٧، ٢٨]. فهو لاء لم يكونوا مؤمنين بالحاسب، ولا مؤمنين بالمحاسب.

لو أن الأمم والمجتمعات، يخبطون في الدنيا خبط عشواء، ويتصرفون على

ما يحلو لهم دون معقب أو حسيب، لجاز - على تفريط وحمق - أن يبعثروا حياتهم، كما يبعثر السفية ماله، فكيف والله حفظة يدونون مثقال الذرة؟ ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]. والذي ينبغي على الناس بعامة، أن يكونوا على وعي وبصيرة، بمقدار ما يفعلون من خطأ و صواب .

والحق أن هذا الانطلاق، في مهامه الحياة، أفراداً وجماعات، دون اكتراث بما كان وما يكون، أو الاكتفاء بنظرة خاطفة لبعض الأعمال البارزة أو الأعراض المخوفة؛ الحق أن ذلك نذير شؤم والعياذ بالله، وقد عدّه الله في كتابه الكريم من الأوصاف التي يعرف بها المنافقون الذين لا كياسة لديهم، ولا يقين لهم ﴿أُولَٰئِكَ يَفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦].

إن العقول السوية، والفطر السليمة، لن تخرج عن إطارها، إذا اعتبرت النفس الصالحة، هي البرنامج الوحيد لكل إصلاح، وأن ترويضها للاستقامة، وتذليلها للطاعة، هو الضمان الحي، لكل حضارة ورفعة، وإن النفس إذا اختلت وزلت، أثارت الفوضى في أحكم النظم، والبلبلية في كنف الهدوء، واستطاعت النفاذ من ذلك إلى أغراضها الدنيئة، ومطامعها المريية والنفس الكريمة، تُرقع الفتوق في الأحوال المختلفة، ويشرق نبلها من داخلها، فتحسن التصرف والمسير وسط الأنواء والأعاصير .

إن القاضي المسلم النزيه، يكمل بعدله وتقواه نقص المتداعين الغششة . والقاضي الجائر، يستطيع الميل بالنصوص المستقيمة، ولي أعناقها لتحقيق رغباته، وإشباع شهواته، وقائد القاضين كليهما، هي النفس ﴿وَنَفْسٍ

وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾
 [الشمس : ٧ - ١٠].

أيها الناس:

إن أعجب الأشياء مجاهدة النفس ومحاسبتها؛ لأنها تحتاج إلى صناعة عجيبة، وقدرة رهيبة، فإن أقواماً أطلقوها فيما تحب؛ فأوقعتهم فيما كرهوا وإن آخرين بالغوا في خلافها حتى ظلموها ومنعوها حقها، وأثر ظلمهم لها في تصرفاتهم وتعباداتهم. ومن الناس من أفرد نفسه في خلوة وعزلة، أثمرت الوحشة من الناس، وآلت إلى ترك فرائض أو فضل من عيادة مريض أو بر والدة، وإنما الحازمُ المحكم، من تعلم منه نفسه الجد وحفظ الأصول، فالمحقق المنصف، هو من يعطيها حقها ويستوفي منها ما عليها. وإن في الحركة بركة، ومحاسبة النفس حياة، والغفوة عنها لون من ألوان القتل صبراً.

عباد الله:

لقد قال الله جل وعلا: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنقُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَنقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

إن العبد المسلم، لن يبلغ درجة التقوى حتى يحاسب نفسه على ما قدمت يدها، وعلى ما يعقد عليه العزم من شؤونه في جميع الأمور، فينيب إلى الله مما اجترح من السيئات؛ ملتمساً عفو الله ورضاه، طامعاً في واسع رحمته وعظيم فضله.

ومحاسبة النفس المؤمنة، سمة للمؤمن الصالح «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

والذنوب واردة على كل مسلم، ولكن لا بد لها من توبة، ولا توبة

دون محاسبة، قال رسول الله ﷺ: « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » رواه الترمذي . يتوب العبد بعد أن يحاسب نفسه، ويحاسب نفسه لينجو من حساب الآخرة، فإن الشهود كثير، ولا يملك العبد في الاحتيال من فتيل ولا نقيير ولا قطمير ﴿ وَقَالُوا لَجُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [فصلت: ٢١] .

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [الزلزلة: ٤] . قال الصحابة رضي الله عنهم: يا رسول الله، وما أخبارها؟ قال: « أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عملت كذا وكذا، في يوم كذا وكذا » رواه أحمد وغيره . فنضّر الله الخليفة الراشد ورضي عنه ذا الكلمة الراشدة، الراسمة طريق النجاح «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨]» .

إن ارتفاع النفس ونضوجها، لا يتكون فجأة، ولا يولد قويا ناضجا دون ما سبب، بل يتكون على مكث، وينضج على مراحل، وإن ترويض النفس على الكمال والخير، وفطامها عن الضلال والشر، يحتاج إلى طول رقابة، وكرات حساب، وإن عمارة دار جديدة على أنقاض دار خربة لا يتم طفرة، بارتجال واستعجال، فكيف ببناء النفس وإنشائها المنشأ السوي .

وإذا كانت النفس الرديئة دائمة الإلحاح على صاحبها، تحاول العوج بسلوكة بين الحين والحين، فلن يكفكف شرها علاج مؤقت، وإنما تحتاج إلى عامل لا يقل قوة عنها، يعيد التوازن على عجل إذا اختل، ألا وهو عامل المحاسبة .

إنه لا أشد حمقا، ولا أغرق غفلة، ممن يعلم أنه يحصى عليه مثاقيل الذر، وسيواجه بما عمله من خير أو شر، ويظل في سباته العميق لاهيا،

غير مستعتب لنفسه ولا محاسب لها، يسي على تقصير ويصبح على تقصير، سوء يتلوه سوء، كذب وزور، غيبة ونميمة، حسد وتشفي، دجل وفجور، فجور في السلوك، وفجور في التناول بالسوء، على من سوى نفسه وأهله.

قال أحد السلف رحمه الله: «من حاسب نفسه قبل أن يحاسب، خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه، دامت خسارته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته».

أيها المسلم رعاك الله: إن قهرتْك النفسُ بغلبتها، فَصُلْ عليها بسوط العزيمة، فإنها إن عرفتْ جدك أستأسرت لك، الدنيا والشيطان خارجان عنك، والنفس عدو مباطن لك، ومن أدب الجهاد ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ ﴾ [التوبة: ١٢٣]. إن مالت إلى الشهوات فألجمها بلجام التقوى، فإن رفعت نفسها بعين العُجب، فذكرها خسارة أصلها، فإنك والله ما لم تجد مرارة الدواء في حلقك، لم تقدر على ذرة من العافية في بدنك، النفس مثل كلب السوء، متى شبع نام، وإن جاع بصبص إليك بذنبه. والمعلوم المشاهد، أنه متى قوي عزم المجاهدة للنفس لانت له بلا حرب، ولما قويت مجاهدة النبي ﷺ تعدت إلى كل من تعدى، فأسلم قرينه صلوات الله وسلامه عليه، والفاروق رضي الله عنه يشيد به المصطفى ﷺ «إيه يا ابن الخطاب، والله ما رآك الشيطان في فج، إلا سلك فجاً غير فجك» متفق عليه.

فيا أيها المسلم: بدل اهتمامك لك، باهتمامك بك، واسرق منك لك، فالعمر قليل، تظلم إلى ربك منك، واستنصر خالقك عليك، يأمرك بالجد، وأنت على الضد أبداً تفر من الزحف، وما ارتقيت درج مجاهدة النفس ومحاسبتها، أتروم حينها الحصاد وأنت لم تبذر بعد. فإن

النفس لن تُرَضَى إذا لم ترضَ ؛ لأنها سبع عقور ، وإنما يراد الصيد لا العضوض .

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾

[النازعات : ٤٠ ، ٤١] .

إن النفس إذا كانت تهوى وتشتهي ، والمرء بينها وبينها ويزجرها ، كان نهيه إياها عبادة لله تعالى يثاب عليها . قال ﷺ : « المجاهد من جاهد نفسه » الترمذي وقال : حسن صحيح . والمرء إلى جهاد نفسه ، أخرج منه إلى جهاد الكفار ، فإن هذا فرض كفاية ، وجهاد النفس فرض عين ، ومن جاهد النفس ، لا يكون محموداً فيه إلا إذا غلب ، بخلاف جهاد الكفار فإنه كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٧٤] .

وأما المجاهد نفسه ، فإذا غلب كان مذموماً ملوماً ، ولهذا قال المصطفى ﷺ : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » رواه البخاري ومسلم .

فما أحرانا معاشر المسلمين ، بالحاسبة مع أنفسنا ، ما أحرى وأحق أن يقف المسلم مع نفسه بذلك ، مذكراً لها عما أسلفته بحق وصدق ، معاتباً لها : ويحك أيتها النفس ، ما دورك وما أشد غفلتك ووستك ، ما موقفك من فرائض الإسلام وشعائر الدين وقضاياه ، وما يتطلبه من جد وتضحيات؟! !!

قال مالك بن دينار : رحم الله عبداً قال لنفسه : أأست صاحبة كذا ، أأست صاحبة كذا؟ ثم ذمها ، ثم خطمها ، ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان

له قائداً .

فاتقوا الله عباد الله ، واعلموا أن محاسبة النفس ميدان جهاد لا يحتاج إلى جيوش ولا مجنزرات ، ولكنه يحتاج إلى جيش الهمة والعزيمة ، ولا بد لنا معشر المسلمين من معركة مع أنفسنا ؛ لنصلح بعد ذلك ، للمعركة مع أعدائنا ولنتذكر قول ربنا : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ٣٠] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن النفوس ثلاث: نفس أمارة بالسوء، ونفس لوامة، ونفس مطمئنة. ولا شك أن أشر هذه النفوس، هي الأمارة بالسوء، الداعية إلى الضلال، المحرصة صاحبها على الانحراف، والاعتساف. والإنسان الغافل الضال، حينما تدركه رحمة خالقه، ينازع نفسه بعد طول شقاء، ويقاومها لينقلها من منبت السوء إلى منبت الخير، ويوقظ فيها صوت الضمير، فإذا هي نفس لوامة، تتفكر وتتدبر، وتعتبر فتتجزر، ثم تبلغ القمة والعلو، فإذا هي نفس مطمئنة، لا تزلزلها الأهوال، ولا الشدائد الثقال، فليت كل واحد منا يسأل ذاته: أين نفسي بين تلك النفوس الثلاث؟ وفي أي طريق تسير؟ أفي المقدم أم في المؤخر؟ أفي العلو أم في السفلى؟ هل ساءلت نفسك أيها المرء فحاسبتها قبل أن تحاسب، هل تفكرت فيها تفكراً مُحَقَّق، هل نظرت إلى خطايا لو عوقبت ببعضها لهلكت سريعاً، ولو كُشِف للناس بعضها لاستحييت من قبورها وشانعتها، أف ثم أف لنفس مريضة، إن نوظرت شمخت، وإن نوصحت

تعجرت، وإن لاحت الدنيا طارت إليها طيران الرخم، وسقطت عليها سقوط الغراب على الجيف.

أين أنت أيها المسلم من ذلك المثل الرائع، الذي ضربه لمحاسبة النفس أبو الدرداء رضي الله عنه حيث جلس يبكي، وقد رأى دولة الأكاسرة تهوى على أقدام المسلمين، وأجاب من قال له: يا أبا الدرداء تبكي في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله فقال أبو الدرداء: «ويحك يا هذا، ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة؛ تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى».

وقد حُمِّلَ ابن سيرين رحمه الله ديناً، فسئل فقال: إني لأعرف الذنب، الذي حمل به علي الدين ما هو؛ قلت لرجل منذ أربعين سنة: يا مفلس!!

الله أكبر أيها المسلمون. قلت ذنوبهم فعرفوا من أين يؤتون، وكثرت ذنوبنا فليس ندري من أين نؤتى. والجزاء من جنس العمل.

اللهم اعصمنا من شر الفتن، وعافنا من جميع البلايا والمحن، وأصلح منا ما ظهر وما بطن، ونق قلوبنا من الغل والحقد والحسد، ولا تجعل علينا تبعة لأحد من خلقك يا أرحم الراحمين.

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

هادم البيوت (الطلاق)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ءَ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فيا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، اتقوه حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى واحذروا المعاصي، فإن أقدامكم على النار لا تقوى، واعلموا أن ملك الموت قد تخطاكم إلى غيركم وسيخطى غيركم

إليكم فخذوا حذرکم الکیس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني .

عباد الله:

يحكي واقع كثير من الناس اليوم، صوراً شتى من اللامبالاة، بقيم الألفاظ ودلالات الكلام وثمراته، ترى الكلمة تخرج من فم المرء، لا يلقي لها بالاً، ربما أهوت به في مسالك الضياع والرذيلة، استحقق بعضهم حجم الكلمات، واستنكف عن معانيها، وما علم أولئك، أن النار بالعيدان تذكى، وأن الحرب مبدأها كلام .

أيها الناس:

أيستغرب أحدكم لو قيل له: إن كلمة من الكلمات تكون معولاً صلباً، يهدم به صرحُ أسرٍ وبيوتات؟ أيستغرب أحدكم لو قيل له: إن كلمة من الكلمات تنقل صاحبها من سعادة وهناء، إلى محنة وشقاء؟ أيستغرب أحدكم لو قيل له: إن كلمة من الكلمات تحرك أفراداً وجماعات، وتنشئ تزلزلاً وشفاعات، لرأب ما صدعت وجمع ما فرقته؟ أتدرون أي كلمة هذه؟

إنها كلمة أبكت عيوننا، وأجهشت قلوبنا، وروعت أفئدة، إنها كلمة صغيرة الحجم، لكنها جليلة الخطب، إنها كلمة ترعد الفرائص بوقعها، وتقلب الفرخ ترحاً والبسمة غصة، إنها كلمة الطلاق، وما أدراك ما الطلاق! كلمة الوداع والفراق، والنزاع والشقاق، فله كم هدمت من بيوت للمسلمين، وكم قطعت من أواصر للأرحام والمحبين، يا لها من ساعة رهيبية، ولحظة أسيفة، يوم تسمع المرأة طلاقها، فتكفكف دموعها، وتودع زوجها، يا لها من لحظة تجف فيها المآقي، حين تقف

المرأة على باب دارها، لتلقي النظرات الأخيرة، نظرات الوداع على عش الزوجية، المليء بالأيام والذكريات، يالها من لحظة عصبية، حين تقتلع السعادة أطنايها، من رحاب ذلك البيت المسلم المبارك.

عباد الله:

العشرة الزوجية ضرب خاص من المحبة في النفس، ليس له في أنواعه ضريب، فهو الذي يسكن به الزوجان، وهو الذي يلتقي به بشران، فيكون كل منهما متمماً لوجود الآخر، ينتجان بالتقائهما بشراً مثلهما ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢].

إن اختلال العشرة بين الزوجين، يذكي نار الفرقة، وكثرة الخصام تضرم أوارها، ولو أحب الأزواج أنفسهم حباً صادقاً، وسكن بعضهم إلى بعض، لواد كل منهما الآخر، وواداً لأجله أهله وعشيرته؛ لأن المودة بين الزوجين سبب من أسباب سعادة العشيرة، وسعادة العشيرة سعادة للأمة المؤلفة من العشائر، المؤلفة من الأزواج، فهذا التآلف والتأليف، هو الذي يتكون منه مزاج الأمة، فما يكون عليه من اعتدال وكمال، يكون كما لا في بنية الأمة واعتدالاً، وقرة عين لمجموعها، وما يطرأ عليه من فساد واعتلال، يكون مرضاً للأمة، يوردها موارد الهلكة، فمن لا خير فيه لأهله لا خير فيه لأمته، قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» أخرجه الترمذي بإسناد صحيح.

عباد الله:

لقد قال المصطفى ﷺ في الحديث المشهور: «فاظفر بذات الدين تربت يداك» متفق عليه.

هذه هي الزوجة التي يحث الشارع على تحصيلها والرضا بها، ويدعو

على من أراد غيرها، وزهد فيها ورغب عنها، ومن المعلوم بدهاء؛ أنه لا يرغب الظفر بذات الدين، إلا من كان قلبه معلقاً بالدين، وكانت نفسه من النفوس الزكية، ومن هذه حاله، فلا غرو أن يرزق المودة بينه وبين زوجته؛ لأنها من ثمرات المشاكلة في السجايا والصفات الفاضلة، وعلى العكس من ذلك، المشاكلة في الصفات الرديئة، والسجايا الدنيئة، فهي لا تثمر محبة، ولا تورث تودداً.

قال رسول الله ﷺ: «خير متاع الدنيا المرأة الصالحة» رواه مسلم.

إنه متى كان الدين بين كل زوج وزوجته، فمهما اختلفا وتدابرا، وتعقدت نفساهما، فإن كل عقدة من العقد لا تجيء إلا ومعها طريقة حلها ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، وهو اليسر والمساهلة، والرحمة والمغفرة، وهو العهد والوفاء، وهو اتساع الذات، وارتفاعها فوق ما تكون به منحطة أو وضیعة.

ومن كانت هذه حاله، فلن يستنكف أن يكون ممتثلاً لما خوطب به من قول المصطفى ﷺ: «لو كنت امرأةً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها» أخرجه الترمذي وهو صحيح. وقوله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً» متفق عليه.

وثمره الدين في المرأة يظهر في مثل قول عائشة رضي الله عنها «يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن، لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بحر وجهها».

فما أجهل الرجل يسيء معاشره امرأته، وما أحق المرأة تسيء معاملته بعلمها.

أيها الناس:

الطلاق!! كلمة، لا ينازع أحد في جدواها، وحاجة الزوجين إليها، حينما يتعذر العيش تحت ظل واحد، وإذا بلغ النفور بينهما مبلغًا، يصعب معه التودد، فالواجب أن يتفرقا بالمعروف والإحسان، كما اجتمعا بهذا القصد ﴿وَإِنْ يَنْفَرَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

إن الله عز وجل لم يخلق الزوجين بطباع واحدة، والزوجان اللذان يظنان، أنهما مخلوق واحد، يعيشان في أوام؛ إذ كيف يريد منها زوجها أن تفكر برأسه، وكيف تريد هي منه، أن يحس بقلبها ﴿وَلَهَنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ وَالرِّجَالِ عَلَيْنَ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

إن النسيم لا يهب عليلًا داخل البيت على الدوام، فقد يتعكر الجو، وقد تشور الزوابع، وإن ارتقاب الراحة الكاملة نوعٌ وهم، ومن العقل توطين النفس على قبول بعض المضايقات، وترك التعليق المرير عليها. ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. وقال رسول الله ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر» رواه مسلم.

ومن يتبع جاهدًا كل عشرة يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

بيد أن بيوتات كثيرة فقدت روح التدين، فهي تتنفس في جو من الشراسة والنكد، واكتنفتها أزمات عقلية وخلقية واجتماعية، فقد تطلق المرأة اليوم، في رطل لحم، علق الرجل به طلاقها إن قامت بشرائه، فيخبط هؤلاء خبط العشراء، ويتصرفون تصرف الحمقى؛ فيقعون في الإثم والحيف.

عباد الله:

لقد كثر الطلاق اليوم، لما فُقدت قوامه الرجل في بعض المجتمعات، إبان غفلة وتقهقر عن مصدر التلقي من كتاب وسنة، وركن فئام من الناس إلى مصادر مريضة، قلبت مفاهيم العشرة، وأفسدت الحياة الزوجية، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وتولى كبر تلك المفاهيم الإعلام بشتى صورته، من خلال مشاهدات متكررة يُقعد فيها مفاهيم خاطئة، ومبادئ مقلوبة في العشرة الزوجية، حتى وضع بعض الزوجات تاريخهن.

ولرب منظر يشهده ألف امرأة بكرة واحدة، فإذا استقر في وعيها، وطافت به الخواطر والأفكار، سلبهن القرار والوقار، فمثلته ألف مرة، بألف طريقة، في ألف حادثة، فلا تعجبوا حينئذ إذا استأسد الحمل، واستنوق الجمل، والعجب كل العجب، أنه في ثنایا المناقشة يقرر الإعلاميون أن دور الإعلام مع المرأة، إنما هو كالتلقيح بمصل بعض الأدوية المعدية، والتسليم بميكروبها، بزعم أنها تكسب صاحبها مناعة، تقيه من أن يُعدي بوبائها.

وحقيقة الأمر أنهم بالذي وضعوا زادت العقد، وإن ما يذكره الإعلاميون، هو التعرض لعدوى الوباء في عنفوان شدته. وصدق من قال.

وكانت دوائي وهي دائي بعينه كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

والواقع أيها المسلمون: أن داخل البيت المسلم يتأثر بخارجه، وتيارات الميوعة والجهالة إذا عصفت في الخارج، تسلفت إلى الداخل، فلم ينبج من بلاتها إلا من عصم الله.

الحياة الزوجية، حياة اجتماعية، ولا بد لكل اجتماع من رئيس يُرجع إليه عند الاختلاف في الرأي والرغبة. والرجل أحق بالرياسة؛ لأنه أعلم بالمصلحة، وأقدر على التنفيذ، بما أودع الله فيه من ذلك، وإن ما تتلقنه المرأة من الأجواء المحيطة بها، على منازعة الرجل قوامته، لمن الانحراف

الصرف ، والضلال الميين .

وإن قوامه الرجل في بيته لا تعني منحه حق الاستبداد والقهر ، فعقد الزوجية ، ليس عقد استرقاق ، ولا عقد ارتفاق لجسد المرأة ، إنه أذكى من ذلك وأجل .

وكل من الزوجين بشر تام ، له عقل يتفكر به ، وقلب يحب به ويكره ، فوجب الحق للمرأة حتى مع قوامه الرجل ﴿ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] . كما أن قوامه الرجل ، لا تعني استغناءه عن زوجه ، فالله عز وجل يقول : ﴿ هُنَّ لِيَاْسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاْسُ لِهِنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

عباد الله:

لقد كثر الطلاق اليوم ، لما صار المطلق أحد رجلين : إما رجل أعمل سلطته وأهمل عاطفته ؛ فكان في بيته سيداً ، ولكنه لم يذق طعم المحبة والسعادة ، ولا عرف الصفاء والهناء . وإما رجل تبع عاطفته فأطاعها ، وأهمل سلطته فأضاعها ، فعاش في داره عبداً رقيقاً .

لقد كثر الطلاق اليوم لما كثر الحسدة والواشون ، فنكسوا الطباع ، وعكسوا الأوضاع ، وصيروا أسباب المودة والالتئام ، عللاً للتباغض والانقسام . ولربما كان لأهل الزوجين مواقف ظاهرة ، بدت سبباً مباشراً في كثير من الخلافات ، فقد يتدخل الأب ، وقد تتدخل الأم أو الأخ ، أو الأخت ، فيحار الزوج من يقدم ؛ والديه ، اللذين عرفاه وليداً ، وريباه صغيراً ، أم زوجه التي هجرت أهلها ، وفارقت عشها من أجله ، إن هذه لمرتقات صعبة ، أهونها أصعب الصعاب ، وأحلاها ، أمر من المر .

إن مثل هذه التدخلات في الحياة الزوجية ، لهي مكمّن الخطر لدى كثير من الأسر ، فما بال أولئك يهجمون على البيوت فيأتونها من ظهورها ، ويمزقون ستارها ، ويهتكون حجابها ، ويتزغون الخرائد من أكنافها ،

والفرائد من أصدافها، ويوقعون العداوة والبغضاء بين الأزواج، ماذا يكون أثر هؤلاء في البيوت التي تتكون منها الأمة، وفي الأمة المكونة من البيوتات !!! إنه لا يغيب عن فهم عاقل، أن شرهم مستطير، وأن ما يفعلونه، فتنة في الأرض وفساد كبير.

عباد الله:

إن العلاقات الزوجية، عميقة الجذور، بعيدة الآماد، فرحم الله رجلاً محمود السيرة، طيب السريرة، سهلاً رقيقاً، ليناً رؤوفاً، رحيماً بأهله، لا يكلف زوجته من الأمر شططاً، وبارك الله في امرأة لا تطلب من زوجها غلطاً، ولا تحدث عنده لغطاً، قال رسول الله ﷺ: «إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشرها» رواه أبو داود.

وقال ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها، وأطاعت בעلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت» رواه ابن حبان.

وبهذا كله، يفهم الرجل أن أفضل ما يستصحبه في حياته، ويستعين على واجباته، الزوجة اللطيفة العشرة، القوية الخلق، وهي التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره، إن هذه الزوجة، هي دعامة البيت السعيد، وركنه العتيد.

﴿فَالصِّدِّيقَاتُ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد:

فيا أيها الناس : إن أحدنا لتمر عليه فترات ، لا يرضى فيها عن نفسه ، ولكنه يتحملها ويتعلل بما يحضره من المعاذير ، وإذا كان الأمر كذلك ، فليكن هذا هو الشأن بين الزوجين ، يلتمس كل منهما لقرينه المعاذير ، فإن المؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يطلب الزلات ؛ ولا بد من غض الطرف عن الهفوات والزلات ، حتى تستقيم العشرة .

فمن ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

ولا شيء يخفف أثقال الحياة ، وأوزار المتاعب ، عن كاهل الزوجين ، كمثّل أحدهما للآخر ، ولا شيء يعزي الإنسان عن مصابه في نفسه وغيره مثل المرأة للرجل ، والرجل للمرأة ؛ فيشعر المصاب منهما بأن له نفساً أخرى ، تمدّه بالقوة ، وتشاطره مصيبته .

فهذه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ ، كانت له في المحنة قلباً مع قلبه العظيم ، وكانت لنفسه ﷺ كقول : (نعم) ، فكأنها لم تنطق قط (لا) ، إلا في الشهادتين ، وما زالت رضي الله عنها ، تعطيه من معاني التأييد والتهوين ، كأنما تلد له المسرات من عواطفها ، كما تلد الذرية

من أحشائها؛ بمالها تواسيه، وبكلامها تسليه « كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك تصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق ».

وحدث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن أمه أم سليم، بنت ملحان الأنصارية رضي الله عنهما قال: « مرض أخ لي من أبي طلحة، يدعى أبا عمير، فبينما أبو طلحة في المسجد، مات الصبي، فهيات أم سليم أمره، وقالت: لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه، فرجع من المسجد، وقد تطيبت له وتصنعت، فقال: ما فعل ابني؟ قالت: هو أسكن مما كان، وقدمت له عشاءه، فتعشى هو وأصحابه، ثم أتتا ليلتهما على أتم وأوفق ما يكون، فلما كان آخر الليل قالت: يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل فلان، استعاروا عارية فتمتعوا بها، فلما طلبت إليهم شق عليهم، قال أبو طلحة: ما أنصفوا. قالت: فإن ابنك فلاناً، كان عارية من الله فقبضه إليه، فاسترجع وحمد الله وقال: والله لا أدعك تغلبيني على الصبر. حتى إذا أصبح، غدا على رسول الله ﷺ فلما رآه قال: بارك الله لكما في ليلتكما » متفق عليه .

الله أكبر، بمثل هذا فلتكن العشرة أيها الأزواج، بمثل هذا فلتكن الحياة الهائلة السعيدة، في النفس والولد والمال .

ثم اعلموا رحمكم الله أن لكلا الزوجين حقاً على الآخر؛ فحق على الزوج أن ينفق عليها، ولا يكلفها من الأمر ما لا تطيق، وأن يسكنها في بيت يصلح لمثلها، وأن يعلمها، ويؤدبها، ويغار عليها، ويصونها، وألا يتخونها، ولا يلتمس عثراتها، وأن يعاشرها بالمعروف، قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً» متفق عليه .

وسئل ﷺ: ما حق امرأة أحدنا عليه؟ قال: «تطعمها إذا طعمت،

وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت «
أبو داود .

ومن حق الزوج على زوجته، أن تطيعه في المعروف، وأن تتابعه في مسكنه، وألا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، وألا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه، وألا تخرج بغير إذنه، وأن تشكر له نعمته عليها ولا تكفرها، وأن تدبر منزله وتهياً أسباب المعيشة به، وأن تحفظه في دينه وعرضه . قال رسول الله ﷺ :
« أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » رواه الترمذي والحاكم .
هذا ، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية .

* * *

لم يبق في القوس منزع
(عن المشركين المستضعفين في البوسنة والهرسك)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوه في السر

والعلن؛ فإن تقوى الله سبحانه، هي وصية الله للأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].
أيها الناس:

لقد ظل العالم الإسلامي بأسره، مئات الأعوام، وهو متجانس متماسك، يشد بعضه أزر بعض، ويأرز إلى عقيدته الجامعة كلما هدد كيانه خطر، أو ادلهم عليه خطب. ومنذ فقدان الأندلس، وقع تغير رهيب في حياته، وأخذت أرضه تنقص من أطرافها، ففقدت أقطاراً وأم، وأنتهكت محارم ومقدسات، ودارت رحى الحرب على المسلمين؛ حتى تداعت عليهم الأمم والشعوب، وتحقق فيهم قول المصطفى ﷺ: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت». أخرج أحمد وأبو داود فصدق رسول الله ﷺ بأبي هو وأمي.

فهذا هو الوهن، وهو سر الضعف الأصيل، أن يعيش الناس عبداً لدنياهم، عشاقاً لأوضاعها الرتيبة، تحركهم شهواتها وتموج بهم كالحاتم في الإصبع، وتسيرهم الرغائب المادية كالثور في الساقية، يتحرك في مدار محدود، فاقد الهدف، معصوب العينين، وهذا هو الوهن، حين يكره المسلمون الموت، ويؤثرون حياة ذليلة على موت كريم، يؤثرون حياة يموتون فيها كل يوم موتات، على موت يحيون بعده حياة سرمدية.

شعوبك في شرق البلاد وغربها كأصحاب كهف في عميق سبات

بأيانهم نوران ذكرٌ وسنة فما بالهم في حالك الظلمات أيها المسلمون:

إن السؤال الذي يفرض نفسه على واقع المسلمين هو: لماذا ولأي شيء لم نبحث عن أسباب تلك الهزائم والخسائر الفادحة، في الأموال والأهلين والأوطان؟ هل أذكأها عوج خلقي؟ أو خلل سياسي واقتصادي، أو غش ثقافي، أو انحراف عقدي، أو إلى مزيج متفاوت النسب من هذه العلل جميعاً؟ ما هي المعاصي الخلقية والسياسية والثقافية التي ارتكبتها أهل الإسلام، فأصابهم ما أصابهم؟

يجب على كل منصف أن يبين ويوضح، وإن من المتحتم على أصحاب الألسن، وحملة الأقلام، ألا يقتربوا خيانات قاتلة، في حق دينهم وأمتهم بتجاهل تلك القضايا، وليعلموا أنهم بتجاهلهم، يؤخرون يوم النصر ولا يقدمونه. وإن اللجة التي تحمل بعض أولئك على تجاهل واقعهم في تلك القضايا، تقودهم ومجتمعهم إلى الغرق، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم. فهل يرتفع شعار الإسلام، وترفرف رايته، في تحليل القضايا الإسلامية، أم تبقى تحت الرايات العمية؟ لنبلغ بها القاع والعياذ بالله.

أيها الناس:

المؤمن الصادق لا يمل كثرة الحديث عن البوسنة والهرسك؛ لأنها اليوم نقطة الارتكاز في ميدان الجهاد الإسلامي، وقضيتها حديث القضايا الإسلامية وساحتها محطة امتحان وكشف لقوة المسلمين وغيرتهم على دينهم وأوطانهم وحرمانهم وقصة البوسنة والهرسك الدامية، يختلط فيها الشجو بالرضا، والتهنئة بالتعزية رضاً وتهنئة، حينما يستحضر المسلم مرأى أولئك الأبطال الذين وقفوا في وجه الصليبية الحاقدة، فسارعوا إلى ملاقاته

ربهم، ودماءهم على ثيابهم، وأبدانهم لم ترفع، لتبقى وساماً فوق صدورهم، يلقون به ربهم يوم القيامة.

وشجو وتعزية، حينما يقع ما يقع، على مرأى من أهل القبلة ومسمع، فلا يُحIRON جواباً، ولا يُحيون ألباباً إلا من رحمه الله، تقع أمامهم الحوادث، وتدلهم الخطوب، فلا يأنون لتألم، ولا يتوجعون لمستصرخ، ولا يحنون لبائس، والمشاهد من أمثال هؤلاء، قساة القلوب غلاظ الأكباد، حكموا على أنفسهم بالذلة، وعلى مجتمعاتهم بالخطية، والمثقفون من هؤلاء، يندبون، ويلطمون، ويتلقون المواساة والعزاء.

والغرب الكافر الحاقد، يخفض جناح الذل من رحمته وعدله المزعوم، على دعم وتحصين، منظمات عالمية لمحبي الكلاب، وأصدقاء الحيوانات الأليفة، فتفتح الصوالين للكلاب، ليقوم أخصائيو بقص شعرها، وتزينها وتعطيها، فهي على الضد تماماً من صوالينهم الدموية التي يقصون فيها شعور البشر، ويحلقون أديانهم، ويزينونهم بالأشلاء، ويعطرونهم بالدماء، فليت مخبراً منصفاً يخبرنا، أو يسائل الغرب الحاقد: أتكون الكلاب المكلبة، أهم وأعظم في قلوب عبّاد الصليب، من قطر إسلامي ضخم، تعدو عليه حثالة لئيمة، فتقتل شيوخه، وترمل نساءه، وتبيح حياءهن في فجور، وتتاجر بأعراضهن في توقع، وتتخذ من عفتهن إناءً تلغ فيه الكلاب بلا استحياء؟ ولكن من يدري لعل هناك نسباً وصهراً، جمع بين الغرب الكافر وبين الكلاب، فهم يُعنون بشئونها عناية منقطعة النظر، في حين أنهم لا يقيمون وزناً للملايين من البشر. سبحانك يا رب، رحماك يا رب.

أيها المسلمون:

لقد أقام الإسلام مجتمعات المسلمين، على أركان ثابتة، ودعائم راسخة، ومن أهم هذه الدعائم أن يتحقق بين أبناء المجتمعات المسلمة روح الإخاء والتضامن، فيأخذ القوي بيد الضعيف، ويشد المقتدر من أزر العاجز!! ويمكن لكل مسلم منصف، أن يحكم على المجتمعات بالخير والصلاح إذا رأى الضعفاء من بني ملته، تتسلل إليهم المحن، وتتوالى عليهم الأفراس حثيثة، ويرى مع ذلك الأيدي الإغاثية تهميهم عن أن يضيعوا وسط الزحام، أو تسحقهم الأقدام، أو تصبح أعراضهم نهباً مقسماً بين الخونة واللثام من سفلة الناس وشياطين البشر، إذا رأى المسلم ذلك جلياً في المجتمعات المسلمة، فليشهد لها بالخير والصلاح، وإن لم ير ذلك، فإن على قلوبهم العفاء.

إنه لمن الواجب على المسلمين بعامة، أن يبحثوا في كل مظنة ضعف، عن سبب قوة. ولو أخلص المسلمون المجاهدون، في تلمس ذلك وتطلبه، لصار الضعف قوة؛ لأن الضعف قد ينطوي على قوة مستورة يؤيدها الله بعنايته ورعايته، فإذا قوة الضعف تهد الجبال، وتحير الألباب ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧].

سمع معاوية رضي الله عنه أن رجلاً من أعدائه، شرب عسلاً فيه سم فمات، فقال رضي الله عنه: إن لله جنوداً، منها العسل.

إن الحديث عن القوة النابعة من الضعف ليس دعوة إلى الرضا بالضعف، أو السكوت عليه، بل هو دعوة إلى استشعار القوة حتى في حالة الضعف، ودعوة إلى التدرج بالرجاء والأمل، وحسن الظن بالله، حتى في مواطن الشدة واليأس، ودعوة إلى بذل الجهود في كل حالة، وعلى أي

وضع كان، ودعوة إلى اليقين بأن الله قادر على أن يجعل من الضعف قوة، مادام الإنسان يجاهد قدر استطاعته .

وإني لأدعو الله حتى كأنما أرى بجميل الظن ما الله صانع

وبذلك ينتزع المسلمون من ضعفهم قوة تحيل قوة عدوهم ضعفاً، وينصرهم الله نصراً مبيناً ﴿ لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧].

عباد الله:

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم، وتلين أفئدتهم، أفقدت من حجر؟ ألا يكلف المرء نفسه تحريك جفنيه، وفتح عينيه ليرى صرعى البؤس والتشريد، وضحايا الظلم والعدوان والفاقة، ماثلين أمامه في غير ما سبيل، ألا يرى ذلك، فتأخذه بهم رحمة الإنسان؟

كيف يستطيع أن يهنأ، صاحب الترفه بطعامه وشرابه، بل كيف يدلل صبيانه وبناته، وكيف يضاحك عياله ويمازح أهله، وهو يرى في البوسنة والهرسك صبية مثل عياله براءء ما جنوا ذنباً، أطهار ما كسبت أيديهم إثماً، سيكون من الحيف، ويتلمضون من الجوع، أفلا يكون للمسلم السهم الراجح، والقدح المعلى في العطف على إخوانه في الدين، وفي كفكفت دموعهم، والمسح على رؤوسهم؟

أولا ينظر المرء إلى إخوانه، تحت سيطرة الصرب الحاقدين؟ أولا ينظر المسلم، إلى سقوفهم، وقد وكفت، وإلى الجدران وقد نزت، وإلى الغرف وقد اسأقت، وإلى الجبال وقد سالت حُمماً من القنابل والشظايا، وإلى الأودية وقد امتلأت جثثاً وهاماً وغدت أباطح، وإلى اختباء المضطهدين في

البيوت، وما تكاد تمنع عنهم برداً ولا بللاً، أولاً ينظر المسلم إلى من خرج من ساكنيها فراراً منها، حين لم تعدو دوراً ولا منازل، وإنما صارت جيفاً وأشلاء يقف البوسني أمامها مشدوهاً ولسان حاله يقول:

سقف بيوتي صرن أرضاً أدوسها وحيطان داري رُكَّعٌ وسجود

إن القرآن الكريم يعطي الإنسان درساً لا يجحده؛ لأنه مأخوذ من صميم الحياة، ولباب الواقع المتكرر، يقول تعالى: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

إن القرآن هنا، يمس شغاف القلوب، ويهز أوتارها هزاً، ويدفع الناس دفعاً، إلى تصور ذريتهم الضعيفة المكسورة الجناح، تنهشهم أفاعي البشر، وتفتك بهم ذئاب الكفر، فقد تدور عليهم رحي الأيام، والأيام قُلب، فيصبحون لا حول لهم ولا قوة، يطمع فيهم الطامع، وما من نصير لهم أو مدافع، والجزاء من جنس العمل.

أيها المسلمون:

عندما يستشري الشر، ويطغى الفساد، لا مندوحة للمسلم عن أن يدرأ الشر ويقمع طغيان الفساد بكل وسيلة، وإن من تلك الوسائل المتاحة المال المسلم، شريان الحياة.

إن المال الإسلامي طاقة مهدرة، تحركها بنوك الغرب ومصارفه، مليارات الأموال، قابضة في تلك البنوك، ماذا يفعل بها المسلمون؟ الشعب البوسني يستغيث ولا مجيب، أكلتهم صروف الحرب المدمرة، ولا من يغيث، والبعثات التبشيرية النصرانية، متخصصة في سرقة العقائد من أولئك العراة المفزوعين، وإننا لتساءل أين المسلمون؟ أين المسلمون؟

حكومات وشعوباً .

ومن رعى غنماً في أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد

جاء الذئب فرعى الغنم؛ لأنها ليس لها حارس، ليس لها راع، ما
السبب، وما الأمر؟ أمة غافلة، والغرب الحاقد، لا يحمي المغفلين .

لقد دقت ساعة الخطر، وبلغ الشر مداه، فلم يبق في القوس منزع، ولم
يعد للصبر مجال، على أمل تسوية سلمية، فتاريخ الغرب سلسلة إجرام،
حملات صليبية لا تعرف السلم ولا المودعة؛ فالبدار البدار يا عباد الله،
بالجهاد في سبيل الله بأموالكم لتجهيز المضطهدين الذائدين عن حياض
الإسلام في أوطانهم، وإن كتاب الله ليدل دلالة واضحة، على أن الإنفاق
والبذل في سبيل الله، ولإعلاء كلمة الله، في طليعة أعمال البر التي وعد الله
عليها بالجزاء العظيم ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أننا بحمد الله، نعيش منجاة من القتال وأهواله، والحروب وبلاياها، وما لنا عدو يحاربنا، وما عدونا إلا من يحارب إخواننا في الملة والدين، وارتضوا لهم أن يجوعوا ويعرّوا، فأرهقوهم نهاراً، وأوحشوهم ليلاً.

والذي ينبغي على المسلمين بعامة، أن يقفوا مع إخوانهم المستضعفين، ويكونوا لهم سنداً وعضداً، وأن يقيموا العزم في وجه التهاون، والشدة في وجه التراخي، والقدرة في وجه العجز، وبهذا كله يصبحون شركاء متعاونين، متأولين قول المصطفى ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» أخرجه البخاري من حديث أنس.

وإن الواجب على الأمة المسلمة ألا تعظم الدينار والدنيا لثلاث تستعبدنها المعاني المنحرفة، في النظرة للمال والحياة، فيكنز الغني مالاً، ويكنز الفقير عداوة، وليعلم الجميع، أن العزة في الإسلام بإنفاق المال لا بامساكه، وفي

بذل الحياة لا في الحرص عليها، وفي اعتبار الغني ما يعمل بماله، لا ما يجمع منه، هذا هو الإسلام الذي غلب الأم؛ لأنه قبل ذلك، غلب النفوس والشهوات.

وفي ظل هذه الظروف الحالكة، يقبض الله نفساً سوية في أقطار شتى، تشد من أزر المنكوبين، ففي مهبط الوحي ومنبع الرسالة على مستوى المؤسسات، والهيئات الإغائية، يشرف عليها ولاة الأمر في هذه البلاد، وفقهم الله للهدى والسداد، تعد بارقة أمل، وومضة تفاؤل، بأن في الأمة خيراً، ينبغي أن يذكر، على كافة الأصعدة إعلاماً وصحافة، وهيئات ومؤسسات. ولن تذهب تلك الجهود سدى إذا حسن العمل، وخلص القصد، فعليك أيها المسلم أن تساهم بما تستطيع لتكفل يتيمًا، أو تجير ثكلى، وتؤوي شيخاً، وتكتنف شاباً، وتستتر شابة، وتؤنس مستوحشاً، ولا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو كان قليلاً، فإن القليل بالقليل يكثر. قال رسول الله ﷺ: «سبق درهم مائة ألف درهم» رواه النسائي.

وإننا لنعلم أن في الموسرين محسنين، وفي التجار منصفين، ولكن في الموسرين من يريد الإحسان ولكنه لا يذكر، ومن المضطهدين من يريد الإحسان فيشق أن يعثر. فإذا تكاتفت الجهود، وتصافحت الأكف، بورك في العمل، وبلغ كل شيء مبلغه.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]. وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]. وقال رسول الله ﷺ: «أيكم مال وارثه أحب من ماله؛ قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه،

قال : فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما آخر» البخاري .

وقال ﷺ : « يقول العبد مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، ما سوى ذلك فذهاب وتاركه للناس » رواه مسلم .

فيا أيها الأغنياء، شمروا عن سواعد الإنفاق، فإن النعم لا تدوم، وإن مع اليوم غداً، وإن بعد الحياة موتاً، وإن بعد الموت لحساباً، وإنما أموالكم عوان وأمانات عندكم، استودعكم الله إياها، ابتلاءً وامتحاناً لينظر كيف تعملون .

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع

وما المرء إلا كالشهاب وضوؤه يحول رماداً بعد إذ هو ساطع

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأزكى البشرية محمد بن

عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة . . .

* * *

المؤمن وليد وقته
(في الحفاظ بالوقت)

الخطبة الأولى

الحمد لله رب الأرباب، ومسبب الأسباب، وخالق خلقه من تراب، أظهر آثار قدرته في كل مكان، وأبدى أنوار هدايته في كل أوان ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أخلص لربه قلبه وخفض له وقته، فمنحه الله رضاه وحبه، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوا الله واعبدوه، واسجدوا له وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

عباد الله:

إن العمر الذي يملكه الإنسان، نعمة كبرى يحمد الله عليها، والحياة

أمامه، فرصة للنجاح، ولذلك امتن الله بالشروق والغروب على عباده فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]. أقسم سبحانه بالزمن في غير ما آية من كتابه فقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١، ٢]. وقال سبحانه: ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا عَسَّسَ ﴿١٧﴾ وَالضُّبْحَ إِذَا نَفَسَ﴾ [التكوير: ١٧، ١٨]. وقال عز وجل: ﴿وَالْفَجْرَ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١، ٢]. وقال عز من قائل حكيم: ﴿وَالْعَصْرَ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]. أقسم الله بالزمن، لما فيه من الأعاجيب، ولأن الزمن جملة أصول النعم، وفرصة سانحة أمام الإنسان يوصف بالحمق إن ضيعها.

أقسم الله بالزمن، فعلم من ذلك أن حياة الإنسان أنفاس تتردد وتتعدد، وأمال تضيع إن لم تتحدد، ودقات قلب المرء في صدره، تشعره في كل لحظة بأن الحياة دقائق وثوان، تمر به متوالية متتابعة؛ ولذلك قيل: المؤمن وليد وقته؛ لأنه يسير في حياته على خطى ونظام، يستغل من خلالها كل مقدار من وقته دون تسويق أو إبطاء، ودون تخليط أو اضطراب، يلوح له في الأفق طيف حكيم يقول له: لكل وقت آداب، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال. ويقول له: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، بل الوقت هو الحياة.. المسلم الحق يغالي بالوقت مغالاة شديدة؛ لأن الوقت عمره، فإذا سمح بضياعه، وترك العوادي تنهيه فهو يتتحر بهذا المسلك الطائش.

يعبر الماديون فيقولون: الوقت من ذهب. وخابوا وخسروا، لأن كل نظرة من نظراتهم للدنيا، توحى إليهم أن الحياة مادة، فهم لا معيار عندهم

إلا معيار المادة، فلها يحيون، وبها يعيشون، وعليها يوالون ويعادون، ومن هنا اعترض اليهود على أن بعث الله فيهم من يقودهم، ويقيم فيهم شرع الله، ممن عمر وقته بطاعة الله، والدعوة إليه، والعمل فيما يرضيه ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، بسطة في العلم، وبسطة في الجسم، يفسرهما قول المصطفى ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ» أخرجه البخاري؛ لأن الناس إذا توافرت لهم الصحة وامتد أمامهم جبل الفراغ، ولم يحسنوا استخدام ذلك في العمل المبرور والسعي المشكور فقد باءوا بالفشل الذريع، والخسران المبين.

قال رسول الله ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك» أخرجه الحاكم والبيهقي. هذا الحديث المنبعث من مشكاة النبوة، يمثل أيام الإنسان، بأنها جبل ممدود، لا يدري متى ينقطع، فهو عرضة للضياع، وأوان للانقطاع، فلربما ضاعت الفرصة، وانقلبت البسمة غصّة، ومن ثم، كان لزاماً على المؤمن، ألا يلتفت إلى الماضي، لينفجع عليه فيقنط، أو يحزن عليه فيكسل، ولا يتلهف على المستقبل، يريد أن يعرفه قبل أوانه، بل يرى حاضره فرصة سانحة، يتهزها وينجزها، ومتى سيطرت هذه النزعة المندوبة، على المرء المسلم جعلته سلطاناً ولو كان في زي المملوكين، وجعلته يحس أنه ليس بينه وبين عظماء الدنيا، إلا يوم واحد، أما أمس فلا يجدون لذته، ولا يجد هو شدته. وأما الغد فإنه وإياهم منه على خطر، فما هو إلا اليوم، فما عسى أن يكون؟ فما مضى

فات، والمؤمل غيب، وما له إلا الساعة التي هو فيها، ولن يستطيع رد الأمس، في اليوم الجديد.

والمفرط، بين يديه عقبة كؤود ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ [الروم: ٥٥]. ﴿ كَانَتْهُمْ يَوْمَ بَرَزُوا لَمَّ لَبِثُوا إِلَّا الْأَعْيَةَ الْأَعْيُنَ أَوْحِيَهَا ﴾ [النازعات: ٤٦].

عباد الله: إن الشباب حياة، والحياة شباب، الشباب للذكور والإناث، واحة فريدة في صحراء الحياة، وهو الربيع في سنة العمر. ولست أعني الشباب الغض الناعم، الذي ترق عنده الحياة، فتسحره بالنظرات المغرية، وتجمع له لذائد الدنيا، في لحظة مسكرة أو شبهة عارضة، الشباب الذي يعيش للهوى وأحلام اليقظة، فيبدأ تاريخ حياته بالحاء فلا يلبث أن ينتهي بالبلاء ديدن حياته، يقوم على هذين الحرفين، كلا؛ ليس الشباب كذلك، إنما أعني الشباب الحي العامل، الذي وضع له غاية في العيش أبعد من مجرد العيش، فهو في جهاد مع وقته ونفسه، والهوى والشيطان، فإذا مات قلبه، وأضاع وقته وجهده، فهو شيخ، ولو كان في العشرين من عمره، وكل من كان له قلب، وبرزت معالم عبادته، فهو شاب ولو شابته لحيته وابيض رأسه؛ لأنه بدا من فعله استحضار قول المصطفى ﷺ: «أعذر الله عز وجل إلى امرئ آخر عمره حتى بلغة ستين سنة» البخاري. أي: أزال عذره، ولم يبق له موضعاً للاعتذار، إذ أمهله مدة مديدة من العمر.

أيها المسلمون:

إن للشباب مرحلة من أخطر المراحل في حياة الناس؛ لأنها مرحلة قوة بين ضعفين، ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، ولما كان الشباب من العمر وسيسأل الإنسان عن عمره؛ فإن رسول الله ﷺ خص الشباب في

قوله: « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس، وذكر منها: وعن شبابه فيما أبلاه » الترمذي .

إن بقاء الشباب في الإجازات العامة دون استغلال ولا إشغال ينشئ مشاكل متوالية على الأسرة والمجتمع، بحيث لا يؤيهم إلا الطرق والممرات، فيزعجون، ويوقظون ويضايقون، وتكون لهم الطرق مدارس شيطانية تعلمهم كل بذيء من القول وقبيح من الفعل . . .

إن إحساس الشباب بالفراغ مع كمال الصحة أمر طبعي معقول ولكن الذي لا يكون أبداً طبيعياً ولا معقولاً. أن يحس الشاب والشابة بهذا كله، ثم يضطرهما المجتمع بأسلوبه على مختلف المحاور، إلى أن يملأوا فراغهم باللهو فيما يسخط الله ورسوله، يملأون فراغهم بلهو صارخ وأفلام رخيصة، ودعايات مضللة إلا من رحم الله، يبذلون الصحة والفراغ، في لذة عارضة، ومتعة عابرة، ولربما ملأ بعضهم فراغه، بالسفر إلى بلاد الكفار، ليتلقفهم أهل الكفر بقضهم وقضيضهم، فيفقدوهم خصائصهم الإسلامية، التي بها قوامهم، ومن ثم يميلون إلى جلب أسوأ ما عند غيرهم ممن يخالطونه في بلاد الكفار، أو في بلاد تشبهها، ويتوهمون أن كل ما عند غيرهم من أهل اللهو والغفلة، خير مما عندهم. قال رسول الله ﷺ: « أنا بريء من مسلم بين ظهرائي المشركين » أبو داود والترمذي .

إن مستقبل المسلمين، يجب أن يصنع في بلادهم، وعلى أرضهم بكدهم وأخلاقهم، بإشغال أوقاتهم في كل ما من شأنه، خدمة الإسلام والمسلمين، وعلى المسلمين جميعاً، أن يكفوا عن أخلاق التسول بكل صنوفه في طاقاتهم، ومقدراتهم وأخلاقهم وسياساتهم، والأمم التي تبني مستقبلها على التسول، أم ضائعة، في تيه العقل الشحاذ، فهي لا تصلح

للحياة.

إن على المجتمعات الإسلامية، أن توجد للشباب في عطلهم، أعمالاً تقوم أخلاقهم، وترفع من ثقافتهم، وتحد من عبثهم وضياع أوقاتهم سدى، وتنتشلهم من أحضان البطالة، التي تولد آلاف الرذائل، وتكتنف جرائم التلاشي والفناء، وعلى المجتمعات المسلمة، أن تقنع الشباب من واقع فعلها، أن العمل رسالة الأحياء، وأن العاطلين موتى، وأنهم أحرى الناس، أن يحشروا مفلسين لا حصاد لهم إلا البوار والخسران.

إن على المجتمعات المسلمة، أن تضع سياسات محكمة، للإنشاء الدائم، والبناء المستمر المستقى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسيرة السلف الصالح، وأن تتحكم في أوقات الفراغ، لا بالإفادة منها بعد أن توجد فحسب، ولكن بإيجاد الجهد، الذي يستنفد كل طاقة، ويوجه هذا وذاك، إلى ما ينفعه في معاشه ومعاده، حتى لا يبقى مجال، يشعر الشباب بعده أنهم لا عمل لهم.

إن الشباب المسلم أحوج أهل الأرض إلى مربين أمناء، يدركون استغلال قوته في الخير، وتهذيب غرائزه فيما أباح الله، بلا تمرد ولا انزلاق.

عباد الله:

إن شرائع الإسلام تدور على جهاد النفس وجهاد الناس، وكلا الجهادين يستغرق العمر كله لحظة لحظة، ولقد كان شغلُ الوقت كله، بكلا الجهادين أمراً معروفاً في سيرة المصطفى ﷺ، فما استراح من مناهضة الكفر في فح من فجاج الأرض، إلا تحول بعده إلى فح آخر، يعمره بالإيمان والتقوى، وسار الصحابة من بعده رضوان الله عليهم، فلم يدعوا مجالاً للقعود، فملاًوا بقاع الأرض بأضواء الإيمان.

والذي حدث بعد ذلك، أن ترك المسلمون هذه الواجبات، فراغ بعضهم على بعض، وعاثت بينهم الفتن، ثم خلفت خلوف، ضيقت الأوقات، في التهويش والتحريش، في العفن تارة، وفي السر تارات، بالغيبة والنميمة، والمعارك الكلامية، والاتهامات الرخيصة، التي لا صحيح فيها، إلا أنها غير صحيحة؛ فأدت بهم إلى بטר الحق، وغمط الناس، وشارك أولئك أعداءهم، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، ويزداد الأمر علة، والطين بلة، إذا وقعت تلك المآسي ممن ينتسب إلى العلم والدعوة على حين غفلة عن قول الله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٥٣]. وقوله: ﴿ لَأَخِيرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء: ١١٤].

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن الوقت، وحي التقضي، أبي الجانب، بطيء الرجوع؛ فلا تضيعوا منه لحظة في غير قربة. والويل ثم الويل، لمن تلمح الشهوات، وعمره في إدبار، والموت في إقبال، كيف يبقى على حالته، من يعمل الدهر في إحالته، بل كيف تطيب الدنيا، لمن لا يأمن الموت ساعة، ولا يتم له سرور يوم؟!

إن في الماضي للمقيم عبرة، وليس المرء من غده على ثقة، بالأمس يقول: أريد أن أكون، واليوم يقول: أنا قد كنت، والواردات سريعة الزوال، تمر أسرع من السحاب، وينقضي الوقت بما فيه، فلا يعود على الإنسان منه، إلا أثره وحكمه.

فاتق الله أيها المسلم، واعلم أن العمر إذا مر لا يعود، والزمن يسير بالمقيم، فاختر لنفسك من وقتك، فإنه عائد عليك لا محالة، ولهذا يقال للسعداء: ﴿ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْغَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٢٤].

ويقال للأشقياء: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِذَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]. فاشتر نفسك أيها المسلم، ما دامت السوق قائمة، والثلثن موجوداً، ولا تسمعن حديث التسوييف، فما لغد من حادث بكفيل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، أحمدته سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن الفراغ في الأمة، يدمر ألوف الكفايات والمواهب ويخفيها وراء ركام هائل من الاستهانة والاستكانة، ويتبع هذا الإهدار الشنيع لقيمة الوقت والعمل، مصائب لا حصر لها، في الأحوال الدينية، والسياسية، والاقتصادية والاجتماعية، فلا جرم، أن شعوباً بأسرها، تسقط في هوة سحيقة، لأنها تستخف بالأوقات فلا عمل لها، استهلكها الفراغ، وأسلمها للفناء، وانتشرت في ربوعها آثام الفراغ والبطالة.

والواجب على المسلمين أن يتعظوا بالزمن، ويتبعوا آيات الله في الآفاق، ويتدبروا أحوال الأمم، كيف تقوم وكيف تنهار، وكيف تتقلب بين ازدهار وانحدار.

واعلموا عباد الله: أن جهود الأعداء في محاولة صرف المسلمين، عن استثمار أوقاتهم، وتوفير فرص الله والعبث، ونهية وسائله كثيرة جداً، وعالمنا اليوم ليس عالم غزو الفضاء فحسب، بل هو غزو للأفكار رهيب، تستخدم فيه الوسائل الحديثة وتنفق في سبيله الأموال الطائلة عبر قنواته

المختلفة .

ولن يصلح أمر هذه الأمة، إلا بما صلح به أولها، وذلك بالسير على ما سار عليه السلف الصالح، في الاهتمام بالأوقات، وتقديرها حق قدرها .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : ما ندمت على شيء ، ندمي على يوم غربت فيه شمس ، نقص فيه أجلي ، ولم يزد فيه عملي .

وقال الحسن البصري : أدركت أقواماً ، كانوا على أوقاتهم ، أشد حرصاً على دراهمكم ودنانيركم . وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول : أثقل الساعات علي : ساعة آكل فيها .

ونقل عن ابن جرير الطبري المفسر المشهور ، أنه قال لأصحابه : أتشطون لتفسير القرآن؟ قالوا : كم يكون قدره؟ قال : ثلاثون ألف ورقة . فقالوا : هذا مما تفتنى الأعمار قبل تمامه . فقال : إنا لله !!! ماتت الهمم . فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة .

قال ابن الجوزي رحمه الله : رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمن دفعاً عجيباً؛ إن طال الليل فبشيء لا ينفع ، وإن طال النهار فبالنوم ، وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق .

ولقد شاهدت خلقاً كثيراً ، لا يعرفون معنى الحياة ، فمنهم من يخلو بلعب الشطرنج ، ومنهم من يُقَطِّعُ الزمان بكثرة الحوادث ، من السلاطين والغلاء والرخص إلى غير ذلك . فعلمت أن الله تعالى لم يُطَّلِعْ على شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية ، إلا من وفقه وألهمه اغتنام ذلك ﴿ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٥] .

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب .

* * *

القدر سر الله في خلقه

الخطبة الأولى

الحمد لله المبدىء المعبد، الفعال لما يريد، خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقداراً، وضرب لهم آجالاً، لا يستأخرون عنها ولا يستقدمون، قدر مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء، علم ما كان، وما سيكون، ولو كان كيف يكون، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة العباد إلا ما شاء لهم، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، فهي عماد المؤمن في الدنيا، وأنيسه في قبره، ودليله في الأخرى يوم يلتقى الله، إلى جنات النعيم.

أيها الناس:

لقد خلق الله السموات والأرض، وبنى الأجسام والعوالم، بناءً متقناً، دالاً على حكمته وكمال علمه وقدرته، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، خلق كل شيء فأحسن خلقه، وقدر كل شيء تقديراً، خلق الثقيلين الجن والإنس، فجعل منهم كافراً وجعل منهم مؤمناً، قدر مقادير الخلائق فلم يبق ولم يذر، وأجرى مقاديره حتى على غرز الإبر، أعجز العقول والأفهام عن إدراكه، أو الإحاطة به علماً، تجلت عظمة الله في القضاء والقدر، وعجزت العقول المسلمة، عن تعليقه؛ فبقيت مبهوتة، عالمة قصورها عن درك جميع الأمور، فأذعنت مقرة بالعجز، مؤمنة بأن الكل من عند الله، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴿أَمْ تَأْتِيهِمْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]. سلموا لله في أفعاله، وعلموا أنه حكيم ومالك، وأنه لا يُقَدَّرُ عبثاً، فإن خفيت عليهم حكمة فعله، نسبوا الجهل إلى نفوسهم وسلموا للحكيم المالك.

وإن أقواماً نظروا إلى قضاء الله وقدره بمجرد عقولهم، فرأوا لو صدرت من مخلوق، نسبت إلى ضد الحكمة؛ فنسبوا الخالق إلى ذلك، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وهذا هو الكفر المحض، والجنون البارد.

وأول من فعل ذلك، إبليس عليه لعائن الله، فإنه قدر أى ربه فَضَّلَ جنس الطين، على جنس النار، فأبى واستكبر وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

واعترض أبو جهل على الخالق وحكمته، حينما قال في نبوة محمد ﷺ: «تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا:

منا نبي، يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به
أبدًا ولا نصدقَه ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبِينَ عَظِيمٍ
﴿٣١﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾
[الزخرف: ٣١، ٣٢].

واعترض ابن الراوندي، الذكي المشهور، في القرن الثالث الهجري،
اعترض على قضاء الله وقدره، وعطل حكمته، واستنكف عن قسمته
ورزقه، فقد جاع يوماً واشتد جوعه، فجلس على الجسر، وقد أمضه
الجوع، فمرت خيل مزينة بالحرير والديباج، فقال: لمن هذه؟ فقالوا لعلي بن
بلتق، غلام الخليفة. فمرت جوار مستحسنتات، فقال: لمن هذه؟ فقالوا:
لعلي بن بلتق، غلام الخليفة، فمر به رجل، فرآه وعليه أثر الضرّ فرمى إليه
رغيفين، فأخذهما ورمى بهما وقال: هذه الأشياء لعلي بن بلتق وهذان لي؟
فنسي هذا الجاهل الأحق، أنه بما يقول ويعترض ويفعل، أهل لهذه
المجاعة. قال الذهبي رحمه الله: فلعن الله الذكاء بلا إيمان ورضي الله عن
البلاد مع التقوى.

عباد الله:

إن تطبيق مقاييس البشر ومفاهيمهم على قضاء الله وقدره، هو مكمّن
الخطر، واعتراض ضعاف النفوس، على قسمة الله ورزقه؛ حيث جعل هذا
مؤمنًا وذاك كافرًا، وذاك غنيًا وهذا فقيرًا، وأخذه للشباب في شبابه، ما بلغ
بنيانه بعض المقصود، وأخذه الطفل من أكف أبويه يتململان، والله الغني
عن أخذه، وأبواه أشد الخلق فقرًا إلى بقائه، وإبقائه لهرم، لا يدري معنى
البقاء، كل ذلك يجد الشيطان به طريقًا للوسواس، ويبتدي بالقدح في
حكمة الله وقدره. ولو ملئت قلوب أولاء بالإيمان واليقين، والرضا بالله

رباً، لما كان للشيطان مسلك ولا مستقر في أفئدتهم، ولأيقنوا أن الله لم يقدر شيئاً إلا بالحكمة، وأن الحكمة قد يعلمها الإنسان وقد تختفي عنه وفق إرادة العزيز الحكيم.

ألا ترون أيها المسلمون: أن الاعتداء على السفينة بخرقها يعد ظلماً واعتداءً، ومع ذلك، فقد يظهر لكم أن ذلك الخرق، كان طريقاً للنجاة من هلكه. وهذا ما وقع للخضر مع موسى عليه السلام ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩].

وانظروا حفظكم الله، إلى يوسف عليه السلام، لما اتهم بالفاحشة، وسجن بها؛ ليكون ذلك السَّجْنُ، سبيلاً إلى جعله على خزائن الأرض حفيظاً عليماً.

ويعيش محمد ﷺ يتيم الأبوين، معذباً في أهله وماله ونفسه، تُصدُّ الأبواب دونه، ويرمى بالحجارة، ويلقى عليه سلا الجزور، ثم هو بعد ذلك، سيد ولد آدم، ومن لم يحبه كفر بالله وبما أنزل على محمد ﷺ.

أيها المسلمون:

مضت سنة الله في خلقه، بأن للأعمال القلبية، سلطاناً على الأعمال البدنية، فما يكون في الأعمال من صلاح وفساد، فإنما مرجعه، فساد القلب وصلاحه، فطمأنينة فؤاد المسلم، وركونه إلى ربه بعد أن يؤدي ما عليه من واجب، إنما هو إيمان منه، بأن زمام الأمور كلها تحت مشيئة الله النافذة، فهو يتوكل على ربه، دون توتر ولا قلق؛ ومن ثم، فإنه يستقبل الدنيا بشجاعة ويقين، ولسان حاله، يقول ما قاله علي بن أبي طالب:

أي يومي من الموت أفر يوم لا يقدر أو يوم قدر

يوم لا يقدر لا أحذره ومن المقدور لا ينجو الحذر

إن قلق كثير من الناس، وخواء أفئدتهم من الإيمان بقضاء الله وقدره، وفزعهم من المستقبل، والشعور بالوهن عن حمل المصائب، هو سر قيام التدجيل والتكهن والعرافة والتنجيم، وهو سر تعلق عدد من المجتمعات ليس بالقليل، بما يسمى شركات التأمين، التي قرر حرمتها علماء الملة. والتي تؤمن علي المال والأرواح والأعراض، الذي استولت من خلاله، على قناطر مقنطرة، من الذهب والفضة، استقطبتها من هلع المدعورين، وخشية الخوافين على أعمارهم حيناً، وعلى أموالهم حيناً آخر.

ومن الفرق، الذي استحوذ على الجبناء، عندما يدفعهم الشك، إلى ترقب الموت كامناً في كل أفق، فيفزعون من الهمس، ويألون من اللمس.

ولن تقر نفوس هؤلاء، إلا إذا خالطها الإيمان بالله، والتسليم له، والرضا بقضائه وقدره. قال رسول الله ﷺ: « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً » رواه الترمذي .

وقال ﷺ: « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحتى يعلم، أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه » رواه الترمذي .

عباد الله:

إن شأن الناس مع القدر عجيب، فذاك تاجر يؤرقه السهود، لأنه من خوفه على رزقه، يتوجس انهيار تجارته بين الحين والآخر، وآخر غط في نوم عميق، فهو لا يتجشم مؤنة سعي؛ لأن الأرزاق مقسومة. والحقيقة كلها، في التوسط بين الطرفين، فالمسلم يؤدي العمل المطلوب، فيعقل ويتوكل، وينفي الريب عن فؤاده، بعد أن يؤدي ما عليه، عملاً بقول

المصطفى ﷺ: « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » متفق عليه .

ولذا، فإن أحاديث القدر، علاج للقلق والتشاؤم، وليست ذريعة كسل أو خمول . إذ ما عساك أيها المسلم أن تفعل، إذا أصابك ما تكره؟ إن كان تغيير المكروه في مقدورك، فالصبر عليه بلادة، والرضا به حمق . وإن كان ما عراك، فوق ما تطيق، فهل هناك حيلة، أفضل من الاتزان ورباطة الجأش، وهل هناك مسلك أرشد من الرضا والتسليم للخالق، الذي يحول الداء دواءً، والمحنة منحة ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

أيها الناس:

إن الله عز وجل، قسم المعاش، وقدر الأرزاق، والناس أجمع، لا يملكون عطاءً ولا منعاً، وإنما الناس وسائط، فما أعطوك، فهو بقدر الله، وما منعوك، فهو بقدر الله، وما كان لك، فسوف يأتيك على ضعفك، وما كان لغيرك فلن تناله بقوتك، وما عليك إلا أن تجد وتعمل، وتضرب في آفاق الأرض، وتأخذ بأسباب الرزق، فمن جد وجد، ومن زرع حصد، فلا كسب بلا عمل، ولا حصاد بلا زرع، ومسألة الرزق، أدق من أن تدرك، وأبعد من أن تنال، وانظروا إلى الناس، ترون منهم الغواصين، الذين جعل الله رزقهم في أعماق البحار، والطيارين، الذين جعل الله معاشهم في بحار الهواء بين السماء والأرض، وأصحاب المناجم يجدون خبزهم، مخبوءاً في الصخر الأصم، فلا ينالونه إلا بتكسيه . ومروض الأسود والفيلة، الذي يترصده الموت كل حين، يجد مصدر رزقه، بين أنياب الأسود أو تحت أرجل الفيلة: ﴿ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ لَنْ نَحْنُ قَسَمًا

بَيْنَهُمْ مَعِيشَتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿ [الزخرف: ٣٢].

فلا تجز عوا من الفقر عباد الله، فإن الفقر قد يسمو، كما سما فقر
المصطفى ﷺ ولا تغتروا بالغنى؛ فإن الغنى قد يدنو، كما دنى غنى قارون
وأبي جهل.

واجعلوا الفقر والغنى مطيتين، لا تبالون أيهما ركبتن، إن كان الفقر، فإن
فيه الصبر، وإن كان الغنى فإن فيه البذل. وأبشروا بقول المصطفى ﷺ: «إن
روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت، حتى تستكمل أجلها،
وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم،
استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى، لا ينال ما عنده إلا
بطاعته» أخرج ابن حبان وأبو نعيم في الحلية.

أيها المسلمون:

إن الإيمان بالقضاء والقدر، يثمر الإقدام، وخلق الشجاعة والتسليم
بأقدار اليوم والغد، وهذا ما ذكره الله في قوله: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا
كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ﴾ [التوبة: ٥١]، وقوله: ﴿ قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ
بِنَاءِ آلِ إِحْدَى الْحُسَيْنِيِّنَ ﴾ [التوبة: ٥٢]، يعنون بذلك كسب المعركة بالنصر
، أو الموت دون الظفر بها، وهو حسن كذلك؛ لأن ما عند الله خير وأبقى.
أما الذين لا إيمان لهم، فهم إن انتصروا أو انهزموا، - بين عذابين،
أجل أو عاجل. ﴿ وَنَحْنُ نَرْتَبِصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ
أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرْتَبِصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة: ٥٢]، فهم يحيون
بفؤاد هواء، تلعب به الأحداث والظنون، وأشباح الموت والمصائب.

إن الذي يعتقد أن الأجل محدود، والرزق مكفول، والأشياء بيد الله

يصرفها كيف يشاء، كيف يرهب الموت والبلى؟ وكيف يخشى الفقر والفاقة
 مما ينفق من ماله؟ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخِشَوْهُمْ
 فزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ
 لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا مَرْضِيانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾

[آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

ومن هنا اندفع السلف الصالح، إلى الممالك والأقطار يفتحونها،
 فأدهشوا العقول، وحيروا الألباب، وقهروا الأمم، فكسروا كسرى،
 وقصروا قيصر، ودمروا بلاداً، ودكدكوا أطواداً، وسحقوا رؤوس الجبال
 تحت حوافر جيادهم. أرجفوا كل قلب، وأرعدوا كل فريضة، وقائدهم في
 ذلك كله، الإيمان بالله وبقضائه وقدره.

بهذا الاعتقاد، لمعت سيوفهم بالمشرق، وانقضت شهبها على الحيارى
 من أهل المغرب، فالله أكبر ما أعظم الإيمان بالقدر، والله أكبر، ما أعظمه من
 مطهر للنفوس، من رذيلة الخور والدعة، العائقين عن بلوغ الرشد
 والدرجات العلى.

اللهم إنا نسألك إيماناً بك، وبملائكتك، وكتبك ورسلك، واليوم
 الآخر، وبقدرك خيره وشره، إنك قريب مجيب الدعوات.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من
 كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الإيمان بالقضاء والقدر، دعامة من دعامات هذا الدين، فهو الركن السادس من أركان الإيمان، ضل فيه من ضل، ممن حرم هداية الله، ولم يوفق للتوحيد، الذي هو حق الله على العبيد، والمخالفون في القدر، بين الغالي فيه، والجافي عنه، والقول الحق هو الوسط؛ قول أهل السنة والجماعة، بين الغالي فيه والجافي عنه، كما قال بعض أهل العلم، من بين فرث ودم، لبناً خالصاً سائغاً للشاربين.

وأهل السنة والجماعة يقولون: إن على العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً، ليس فيه ناقض ولا معقب، ولا مزيل، ولا مغير، ولا زائد ولا ناقص من خلقه، في سماواته وأرضه، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن للعبد مشيئة وإرادة. تحت مشيئة الله وإرادته ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال ﷺ: « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » رواه مسلم.

والفرقة الناجية: أهل السنة والجماعة، تؤمن بالقدر خيره وشره، ويقولون: إن أصل القدر سرُّ الله في خلقه، لم يَطَّلِعْ على ذلك مَلَكٌ مقرب، ولا نبي مرسل. والتعمق والنظر في ذلك، ذريعة الخذلان، وَسَلَّمَ الحرمان، فالحذر كل الحذر من ذلك. نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين.

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

وداع الحج

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

حجاج بيت الله، يا من أدبتم مناسككم فوقتم بعرفات، وانحدر بكم الشوق إلى المزدلفة فسكبتم عند المشعر الحرام العبرات، هنيئاً لمن رزقوا

الوقوف بعرفة، وجأروا إلى الله بقلوب محترقة، ودموع مستبقة، فله كم من خائف، أزعجه الخوف وأقلقه، ومحب ألهبه الشوق وأحرقه، وراج أحسن الظن بوعد الله وصدقته، وتائب نصح الله التوبة وصدقته. كم من مستوجب للنار، أنقذه الله وأعتقه، وبلغ الأمانى عشية عرفة، اطلع عليهم أرحم الرحماء، وباهى بجمعهم أهل السماء، فهل رأيتم عباد الله، هل رأيتم قط عرابة، أحسن من المحرمين، هل شاهدتم ماءً صافياً أصفى من دموع المتأسفين، هل ارتفعت أكف، وانبسبت أيد، فضاهت أكف الراغبين، هل لصقت بالأرض جباه أفضل من جباه المصلين؟

حجاج بيت الله، أخلصوا الله حجكم، واتبعوا سنة نبيكم تفلحوا، فالإخلاص والمتابعة هما شرطاً لقبول العبادة، فكل عمل فقد واحداً من هذين الشرطين، فهو مردود على صاحبه. قال رسول الله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» رواه مسلم، وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه.

لقد أوضح النبي ﷺ الطريق، ولكن قل السالك على التحقيق، وكثر المدعي. وليس السابق اليوم، من سبق به بغيره، إنما السابق من غفر له ذنبه.

أيها الحجاج: من قصر في جنب الله، فليرجع إلى جهاد النفس فهو الجهاد الأكبر. حذار أن تحلقوا رؤوس أديانكم بالذنوب، فإن الذنوب حالقة الدين، ليست حالقة الشعر.

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها من فاته القيام بعرفة، فليقم لله بحقه الذي عرفه، ومن عجز عن المبيت بالمزدلفة، فليبت عزمه على طاعة الله، وقد قربه وأزلفه، من لم يقدر على نحر هدية بمنى، فليذبح هواه هناك

أو هنا وقد بلغ المنا ، من لم يصل إلى البيت العتيق ؛ لأنه من بعيد ، فلا يبعد نفسه بالذنوب عن رحمة الله ؛ فإن رحمت الله أقرب إلى من دعاه من حبل الوريد .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً .

ذكر الله المطلق ، يستحب الإكثار منه في أيام التشريق ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم ، يكبرون فترتج منى تكبيراً .

فإذا قضى الحاج مناسكه ، شرع له أن يذكر الله ، ويكثر من ذكره ، استجابة لما أرشد إليه خالقنا جل وعلا في قوله : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٠٠] .

وفي الأمر بالذكر عند انقضاء النسك معنى جلي ، وهو أن سائر العبادات تنقضي ويُفرغ منها ، وذكر الله باق ، لا ينقضي ولا يفرغ منه ، بل هو مستمر للمؤمنين في الدنيا والآخرة ، فالؤمن يعيش على الذكر ويموت عليه ، وعليه يبعث ، فما طابت الدنيا إلا بذكره تعالى ، ولا الآخرة إلا بعفوه ، ولا الجنة إلا برؤيته .

كما يشرع للحاج أن يكثر من قوله : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ﴾ [البقرة: ٢٠١] ، وهذا الدعاء ، من أجمع الأدعية ، وقد كان النبي ﷺ يكثر منه ؛ لأنه يجمع خير الدنيا والآخرة ، وهو دعاء جامع لكل خير ، وصارف لكل شر ، فالحسنة في الدنيا ، تشمل كل مطلوب دنيوي ، من عافية ورزق ، وزوجة صالحة ، وعلم نافع وعمل مبرور . والحسنة في الآخرة هي الأمن في العرصات يوم القيامة ، وتيسير الحساب ، والنعيم المقيم ، ورؤية رب البرية سبحانه ﴿ فَمِنَ النَّكَاسِ مَنْ

يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَالِهِ فِي الْآخِرَةِ مِّنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾

[البقرة: ٢٠٠، ٢٠١].

حجاج بيت الله، في حجة الوداع، كان خطاب النبي ﷺ، الذي ألقاه على حشود من البشر غفيرة، والتي اجتمعت له في صعيد عرفات، وهو خطاب جليل، لم تع مسامع الوجود أرقى من مبادئه، ولا أشرف وأجل من مقاصده، كما أنه خطاب أخوي، حوى سجلاً صادقاً لحقوق الإنسان المسلم وحرمة ماله ودمه وعرضه، أكد النبي ﷺ في تلك الخطبة، بطلان أمور الجاهلية، وأنها موضوعة تحت قدميه.

ورأس الجاهلية، الشرك بالله !!! الشرك بالله في ألوهيته، أو ربوبيته. أو الإلحاد في أسمائه وصفاته.

فدين الإسلام دين التوحيد والعقيدة، وبيت الله بني لأجل التوحيد ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحج: ٢٦].

والحج في الإسلام أمانة وحكمة، تدعو إلى التوحيد، فاجتماع الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم يوحي إليهم: أنه ينبغي للمسلم، ألا يعبد إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يذبح إلا لله، ولا ينذر إلا لله، ولا يتوكل إلى على الله، ولا يعمل عبادة إلا لله وحده لا شريك له، فالأمن والأمان، مرتهان بتوحيد الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقرن إبراهيم عليه السلام، الأمن في الحرم بتوحيد الله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فلا يجتمع إذن صنم وأمن. . . صنم النفس، وصنم الهوى، وصنم الحجارة، وصنم الدساتير والأخبار والرهبان.

ومتى بقيت من ذلك بقية، فالله أغنى الشركاء عن الشرك، وهو لا يرضى بمزاحمة الأصنام. قال سهل بن عبد الله: حرام على قلب أن يدخله النور، وفيه شيء مما يكرهه الله.

لقد حارب النبي ﷺ الشرك؛ لأن من مقتضى الإيمان بالله وعبادته وحده، هو الكفر بالطاغوت ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. والإيمان بالله، والكفر بالطاغوت، هو معنى لا إله إلا الله. والطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد الحد، من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم، من يتحاكمون إليه من دون الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ورسوله.

فالله عز وجل، إنما بعث محمداً ﷺ بالتوحيد الخالص، وتحريم كل صور الشرك وضروبه، ومنع كل مشرك من دخول المسجد الحرام ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨]. وقد أمر رسول الله ﷺ أن ينادى في الناس «ألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان» متفق عليه.

فالذي ينبغي على المسلم ألا يشرك بالله شيئاً، وأن ينفي الشريك عن الله وألا يرجو قبة، ولا يتوسل بوثن، ولا يطوف بقبر، ولا يتمسح بعتبة أو باب، ولا يعلق تيممة، أو ودعة أو ناباً؛ رجاء نفع، أو دفع ضرر، فالله هو النافع وهو يدفع ما بالإنسان من ضرر ومصاب.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

حجاج بيت الله الحرام، في خطبة الوداع يؤكد المصطفى ﷺ، حرمة المسلم وحرите الشرعية، وأنه لا يحل دمه وماله وعرضه، إلا بسبب يبيح

ذلك: « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » رواه مسلم ، فرسول الله ﷺ هو أول من نادى بحقوق الإنسان المسلم ، وهو الذي طبقه في واقع حياته ، ثم الصحابة من بعده ، ثم السلف الصالحون ، ومن بعدهم من أئمة الهدى ، وأمرء العدل .

ويؤكد رسول الله ﷺ في خطبته ، حرمة الربا فيقول : « وربا الجاهلية موضوع ، وأول رباً أضع ربانا ، ربا عباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله » رواه مسلم .

إن أفضح تعامل منيت به الإنسانية ، وأبشع وضع تواضع عليه كثير من الناس في أمورهم المالية ، هو الربا ، فكم له من ضحايا ، وكم خرب من بيوتات ، وكم جلب من محن وبلايا ، ولو لم يبق إلا كونه حرباً لله ورسوله لكفى ، فأكل الربا صفة من صفات اليهود ، التي استحقوا عليها اللعنة الخالدة ﴿ فَيُظَلِّمُونَ الَّذِينَ هَادُوا وَأَحْرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (١٦٠) وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ﴿ [النساء : ١٦٠ ، ١٦١] .

أيها الناس :

أكد رسول الله ﷺ حق المرأة المسلمة ، وأنها شقيقة الرجل ، لها شأن في المجتمع ، ؛ حيث إنها نصف البشرية ، ثم هي تلد النصف الآخر ، فأصبحت بذلك كالأمة الكاملة . وبذلك ، ارتفعت المرأة في الإسلام ، بعد أن كانت زرية مهانة ، تباع وتسبى ، وتحرم وتوأد ، فأكد النبي ﷺ حقها ، وأوصى بالنساء خيراً فإنهن أسيرات عند الرجال .

ومن حق المرأة على الرجال ، أن يعتنوا بها ، ويحموها من مزالق الفتن ، ويضعوا لها سياجاً منيعاً ، متمثلاً في الحشمة والعفاف ، المفضيين إلى الحجاب الشرعي ، والقرار في البيوت ، والبعد عن مزاحمة الرجال ، وأن

يباعدوا بينها وبين الدعوات المسعورة، الداعية إلى نزع حجابها، وخروجها من بيتها؛ لتكون طبقاً شهياً لعباد المرأة، وللذين كرهوا ما نزل الله .

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعملوا بوصية نبيكم ﷺ ، الواقعة في مثل حجكم هذا، والتي أشهد عليها آباءكم وأسلافكم حين قال لهم: « وأنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، وأديت ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء يشير بها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد» رواه مسلم .

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد .

عباد الله:

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه . . .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمد من يشكر النعمة، ويخشى النقمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو القوة والرحمة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، معلمنا الكتاب والحكمة صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه، ومن قام على قمع بدعة وإحياء سنة.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بجماعة المسلمين فإن يد الله على الجماعة، ومن شذ عنهم شذ في النار، عليكم عباد الله بالتقوى، والاستمساك بالعروة الوثقى، واحذروا المعاصي، فإن أقدامكم على النار لا تقوى، واعلموا أن ملك الموت قد تخطاكم إلى غيركم وسيتخطى غيركم إليكم، فخذوا حذركم. الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى.

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية . . .

الشرف الزائف

الخطبة الأولى

الحمد لله الحكيم العليم، يضع البركة في القليل الضئيل، فإذا هو كالبحر الواسع، أو الفيض العميم، ويمحق بقدرته الكثير الدخيل، فإذا هو كالهباء أو الهشيم ﴿ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولي الصالحين ومزكي قلوب المتقين ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٤﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أخلص إلى ربه قصده، وأوقف على رضاه جهده، بلا رياء ولا سمعة، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الفائزين بشرف صحبته، والمستمسكين بشرعته ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ [العنكبوت: ٩].

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل ، إذ لا خير فينا إن لم نقلها ، ولا خير فيمن سمعها ألا يعمل بها ، فتقوى الله عز وجل طريق الفلاح ، وعنوان الصلاح ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلَى الْآلِئْبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٠] .

عباد الله:

قال الله عز وجل : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَابِهِ ثُمَّ يَسِيحُ فترته مَصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠] .

أيها المسلمون:

هذا هو مثل الدنيا في القرآن ، يعرف من خلاله ، استنكار الضراعة ، التي تظهر على بعض الناس ، حين يتطلعون إلى الدنيا ، فيكون ما فقدوا من حطام ، وتؤثر فيهم المعاني النفسية التي تعلق بعرض من الدنيا ، وتهبط بعرض ، وكلما أحدثت خلة من خلالهم هدمًا في الحياة أو شرخًا في الدين ، ظنوا أن المال يرممها ، وأن الشرف والتفاخر يرأب الصدع فيها .

أيها الأحبة في الله:

لوراجع الإنسان نفسه ، وأصغى لمناجاة نفسه ، لوجد في وجدانه ميلاً قوياً ، وحرصاً شديداً ، يدفعه إلى طلب الشرف والرفعة ، وعلو المنزلة في أبناء جنسه ، ولو رفعت بصرك أيها المسلم ، إلى سواد أمة بتمامها ، لوجدت مثل ذلك في مجموعها ، كما هو حاصل في أفرادها ، تبتغي شرف المكانة في نفوس الأمم سواها ، ذلك كله أمر جبلي ، جبل الله عليه

بني الإنسان مجتمعين ومنفردين .

فعلى مستوى الأفراد، يتفق العقلاء من البشر وذووا الفطر السليمة، على أن الإنسان إذا طلب الشرف من طريق مزيفة تشبه تفنن المتسولين، فهو بشر شاذ المسلك، مريض يستحق العلاج، أو مجرم يستحق العقاب، وطالب الشرف من أمثال هذا، إما غني فيه طمع، أو فقير عنده قلق، غني لم يكتف حين استوفى، ولم يشكر حين قدر، فوقعت مآسي الترف والفسق وحب الشرف، وفقير أخرجه فقره عن رشاده، ولم يرض بقسمة الله ورزقه، فاعترى الغنى والفقر مرضان مرض شهوة، ومرض شبهة .

ومن هنا أسرف الغني على نفسه فكان حيواناً، واضطرب الفقير بقلقه فكان شيطاناً .

وعلى مستوى المجتمعات، فإن المجتمع الذي يملك ثروة هائلة، ولديه تراث ديني خصب، يعد مجتمعاً ساذجاً إذا نسي ما لديه من كنوز، وما يقتني من مصادر الشرف المادي والأدبي، ثم يحاول الالتحاق بجبهة من جبهات الكفر والضلال، أو يصطبغ بلون من ألوانها، سيراً في ركاب التقدم، المفضي إلى الانحراف، بعد أن شرفه الله بصبغة واحدة .
﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨] .

ومن هنا، اختلفت نظرات الناس وتوجهاتهم حول ما يثرونه من معاني الشرف، ففئة من الناس ترى الشرف في تشييد القصور، والتعالي في البنيان، ووفرة الخدم والحشم . وفئة أخرى تتوهم أن الشرف يكمن في وفرة الفاخر من الثياب والحلي وأشباهاها . وفئة أخرى، تتخيل الشرف، في الألقاب الرفيعة، أو في رتب الوظيفة وعلو أسمائها . وفئام من الناس، يرون الشرف، في أن يسلب الرجل مال أخيه، ونهب ثروات أقاربه

وذويه، أو بني ملته وأهل دينه ليشيد بما يصيب من السحت بيتاً، ويرفع بناءً، ويظن بذلك، أنه نال مجدداً أبدياً، وفخاراً سرمدياً، وراق لهؤلاء أن يُعَنِّونوا لحالهم بعنوان الشرف.

وآخر من الناس، يسهر ليله، ويقطع نهاره بالفكر، في وسيلة ينال بها لقباً من الألقاب أو يحصل بها على وسام، أو يستفيد وشاحاً، وسواء عنده الوسائل يطلبها، أيّاً كان نوعها، وإن أفضت إلى خراب بيته، أو تذليل نفسه وأهله، أو تمزيق دينه. انطلاقاً من قاعدة، قعدها شياطين من البشر، في جثمان إنس، يقولون: [الغاية تبرر الوسيلة] فكل ما ترى أنه غاية لك أيها الإنسان، فإن الوسائل المؤدية إلى تلك الغاية لك أن تسلك منها ما تشاء ولو كان على حساب الآخرين، أو بالغدر والفتك والحسد.

ويالأسف الشديد أنك تجد بعضاً ممن ينتسبون إلى الدعوة والتعليم يقعون في هذه الأحوال تعصباً لحزب، أو طمعاً في منصب، أو كرهاً لمستقيم صادق. فهؤلاء يعيشون ويحيون على هذه القاعدة، ويتمرغون بأخلاقهم فيها، يتقلبون على المجتمع من صنع تلك القاعدة ناساً دوداً كطبع الدود، لا يقع في شيء إلا أفسده أو قدره، أو قوماً سوساً كطبع السوس، لا ينال شيئاً إلا نخره أو عابه، فهم يوقعون الخلل في أنفسهم وفي نظام مجتمعهم.

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

فهذا مثل عظيم جداً، ضربه النبي ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس أقل من فساد الغنم

بذئبين جائعين ضارين باتا في الغنم قد غاب عنها رعاؤها ليلاً، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها، ومن المعلوم بداهة، أنه لا ينجو من الغنم والحالة هذه إلا قليل.

عباد الله:

الحرص على الشرف صفة ملازمة لكثير من الناس على اختلاف طبقاتهم وتوجهاتهم، كل ينافس أهل طبقته في أسباب الكرامة بينهم، ويأنف من احتقارهم له، فيحرص أشد الحرص على ما يحلله من قلوبهم محل الاعتبار، حتى إذا بلغ الغاية مما به الرفعة عندهم تخطى حدود تلك الطبقة، ودخل في طبقة أخرى، ونافس أهلها في المال والجاه، ويظل يتبع سيره ما دام حياً، حتى لا يستطيع أن يقنع نفسه أنه بلغ من الكمال الزائف حداً ليست بعده غاية.

سبحان الله، ماذا أخذت محبة الشرف من قلب الإنسان؟ وماذا ملكت من أهوائه ورغباته، يعد الشرف ثمرة حياته، وغاية وجوده!! حتى إنه يحقر الحياة عند فقدده والعجز عن دركه، يتجشم المصاعب للوصول إليه، ويبلغ من محبة الشرف حداً لا يراه غذاء لروحه فقط، بل يعده من مادة النماء لبدنه، فهو يفرق خوفاً إذا عرض وهم لفواته، خشيةً من هلاكه، وذهاب حياته، كل هذا يحتمله، طلباً لشرف يكسبه لذاته، أو ابتغاء مجد يحصله لشهوة نفسه.

ماذا يشعر به المفاخر بنفسه وجاهه، أو علمه وماله، إذا تجرد وخلي بنفسه؟ إن لم يكن لذاته حلية من الفضيلة، وزينة من السمو!! ألا يكون هو وعراة الفقراء سواء.

أولا يجد من سره عند المفاخرة أنه يجول مع الغايات وربات الخدور

في ميدان واحد؟ ماذا يتصور الزاهي برتبته، المعجب بوسامه، إن لم يكن قبل وسمته، أو الصعود لرتبته على حال تجل، أو علو يبجل، أليس يشعر، أنه لو سلب الوسام، أو نزع منه الوشاح، يعود إلى منزلته من الاحتقار؟ فإن نال الكرامة عند بعض السذج، واللقب معلق عليه، أليس ذلك تعظيماً للقب لا للملقب به؟ ألا تكون هذه الكرامة عارضاً سريع الزوال، بل رسماً ظاهراً، لا يمس بواطن القلوب؟ ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

نعم أيها المسلمون:

لهذه الألقاب الرفيعة شأن، يرتفع به نظر الناس، إذا سبق بعمل يعترف عموم الناس بشرفه، وكان اللقب دليلاً عليه أو مشيراً إليه، كما يكون لمثلها حال يسقط به الاعتبار، إذا تقدمها فعلة يمتقتها العقلاء من بني الإسلام.

عباد الله:

ذكر بعض أهل العلم أن طلب الشرف تشتد خطورته إذا حرص عليه من طريقين:

الطريقة الأولى:

طلب الشرف بالولاية والرياسة والمال، وهذا خطر جداً، وهو في الغالب، يمنع خير الآخرة، وشرفها وكرامتها، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

وقل من يحرص على ولايات الدنيا بطلبها فيوفق، بل يوكل إلى نفسه كما قال ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير

مسألة أعنت عليها « [رواه البخاري ومسلم].

قال بعض السلف: ما حرص أحد على ولاية فعدل فيها. والولاية هي كل ما يتولى به على أمر من أمور المسلمين الخاصة والعامة.

وثبت أن رجلين قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، أمرنا، قال: «إنا لا نولي أمرنا هذا من سأله ولا من حرص عليه» [رواه البخاري].

وحب الشرف بالولاية إذا قصد به الحرص على نفوذ الأمر والنهي، وتديير أمور الناس، وعلو المنزلة عليهم، والتعاضم على الخلق، وإظهار حاجة الناس وافتقارهم إليه وذلهم له في طلب حوائجهم منه، فهذا نفسه مزاحمة لربوبية الله وإلاهيته، وهو لا يصلح إلا لله وحده لا شريك له.

قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني فيهما عذبت» [رواه أحمد وأبو داود]

فمن هنا كان خلفاء الرسل وأتباعهم، من أمراء العدل وأتباعهم وقضاتهم، لا يدعون إلى تعظيم نفوسهم البتة، بل إلى تعظيم الله وحده، وإفراده بالعبودية والربوبية.

الطريقة الثانية:

طلب الشرف والعلو على الناس، بالأمور الدينية، كالعلم والعمل والدعوة والإرشاد والتوجيه، فهذا أفحش من الأول، وأقبح وأشد فساداً وخطراً؛ فإن العلم والعمل والدعوة، إنما يطلب به ما عند الله، فإذا طلب به المال فقد طلبه بالأسباب المحرمة، قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً في الدنيا، لم يجد راحة الجنة يوم القيامة» [رواه أحمد وغيره].

وسبب هذا هو أن العلم يدل على الجنة، ولهذا كان أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه، حيث كان معه آلة يتوصل بها إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، فلم يستعملها إلا في أخس الأمور وأحقرها.

كتب وهب بن منبه إلى مكحول: «أما بعد، فإنك أصبت بظاهر علمك عند الناس شرفاً ومنزلة، فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى، واعلم أن إحدى المنزلتين تنازع الأخرى».

وبكل حال أيها المسلمون؛ فإن طلب شرف الآخرة يحصل معه شرف الدنيا وإن لم يرده صاحبه ولم يطلبه، وطلب شرف الدنيا لا يجامع شرف الآخرة ولا يجتمع معه، والسعيد من آثر الباقي على الفاني، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، أي في قلوب عباده.

وفي الحديث عن المصطفى ﷺ أنه قال: «إن الله إذا أحب عبداً، نادى: يا جبريل أحب فلاناً فيحبه جبريل، ثم يحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» [رواه البخاري ومسلم]

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تَجْرِمٍ يُنَجِّكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوْمَنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٣]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله : واعملوا أن الشرف الحقيقي ، ليس هو الأمانة والتشهي للذين تطلبهما النفس تارة بعد أخرى ، ويعبر عنها الإنسان بليت لي كذا وكذا من المال والفضل ، لا وكلا .

إنما الشرف ، دين يتبعه عمل ، ويصعبه حمل النفس على المكاره ، وجبلها على المشاق والمتاعب ، وتوطئها لملاقاة البلاء بالصبر ، والشدائد بالجلد .

والشريف هو كل مؤمن بالله ، صادق الإيمان ، صحيح العقيدة ، وفي لربه وأدى ما عليه وأبى الدنيا في دينه ، ولم يرضخ لوساوس الشيطان وآااعبه ، فدينه الإسلام ومصدر الحكم عنده كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف الصالح ، فلا يرضى لدينه أن يدنس ، ولا لماله أن يستباح ، ولا لأهله أن تنتهك حرمتهم ، وحمى شعائر الله ومقدساته ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢] .

الشرف بهذا المفهوم بهاء للشخص ، يحوم عليه بالأنظار ، ويوجه إليه الخواطر والأفكار ، ومشرق ذلك البهاء عمل يأتيه طالبه ، يكون له أثر حسن في أمته ؛ أو بني ملته كإنقاذ من تهلكة ، أو كشف لجهالة ، أو تنبيه لحق سلب ، أو إيقاظ من غفلة ، أو جمع كلمة ، أو تجديد رابطة ، أو إعادة قوة وانتشال من ضعف ، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر .

من أتى عملاً من هذه الأعمال وهو مؤمن بالله إيماناً صادقاً، فهو الشريف حقاً، وإن سكن غياهب الجبال، ولبس الرث من الثياب، وبات على تراب الفقر، هذا له حلية من عمله، وزينة من فضله، وبهاء من جده، يهدي إليه ضالة الألباب، وتائهة الأفئدة، تعرفه المشاعر الحساسة ولا تنكره، وله معزة مشرقة، في جباه الصالحين من المسلمين ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦].

وأما الشرف الزائف فيمكن علاجه بداوم النظر في سنة المصطفى ﷺ فإن فيها تحذيراً شديداً من سؤال الولاية أو تعلق القلب بها، وبدوام التعويد على الطاعة وهضم النفس، فإن ذلك له أثره الظاهر في كبت جماح النفس وتطلعاتها المشبوهة، وخلع تلك الأمراض من القلب والرضى بالحال التي يوضع فيها المسلم قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماءه، إن كان في الحراسة كان في الحرسه، وإن كان في الساقه كان في الساقه، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع» رواه البخاري .

كما ينبغي للعبد أن يتذكر منزلة الدنيا والآخرة على نحو ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ﴿ قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ أَنْقَى ﴾ [النساء: ٧٧]، ﴿ فَمَا مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة: ٣٨]، ﴿ يَنْقُورُ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [غافر: ٣٩]. وغير ذلك من الآيات الكريمة،

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية .

نعم الصالح الصالح ندر رجل الصالح

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

[النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل ، وكثرة حمده على آلائه إليكم ، ونعمائه عليكم ، وبلائه لديكم ؛ فكم خصكم بنعمة ، وأزال عنكم نقمة ، وتدارككم برحمة ، أعورتكم له فستركم ، وتعرضتم لأخذه فأمهلكم ، فإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا تكونوا أمثالكم .

أيها الناس:

إن المتبع لتعاليم الإسلام في القرآن والسنة يرى اعتبار المال الصالح قوام الحياة ، والحث على تحصيله وحسن تديره وتثميره ، بل لقد أجمع الأنبياء والرسل قاطبة على الديانة بالتوحيد في مللهم ، وعلى حفظ المال والنفس والعقل والعرض .

ومن المسلمات المعلومة بالضرورة ، أن المال زينة الحياة الدنيا ، وأنه مطلوب محبوب ، وأن الإسلام لا يمنع طلبه عن طريق طيبه وحله ، بل إنه يحرض على كسبه ، وحسن التصرف فيه ، لتقضى به الحقوق ، وتؤدى الواجبات ، وتصان الحرمات .

إن المال في الحقيقة ، لا يطلب لذاته في هذه الدنيا ، وإنما يطلب عادة ، لما يضمنه من مصالح ، ولما يحققه من منافع ، إنه في حد ذاته وسيلة لا غاية ، والوسيلة عادة تحمد أو تعاب بمقدار ما يترتب عليها من نتائج حسنة وآثار سيئة ، فالمال كالسلاح ، إن كان في يد مجرم قتل به الأبرياء ، وإن كان في يد مجاهد مناضل دافع به عن دينه ونفسه وأهله ووطنه ، وقد قال تعالى عن المال ، وما يسوقه من خير أو شر : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَفَى ۖ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ ﴿٦﴾ فَسَنِيَرَهُ لِلنَّسْرِ ۖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۖ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۖ ﴿٩﴾ فَسَنِيَرَهُ لِلْعُسْرَى ۖ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۗ ﴿١١﴾ [الليل : ٥-١١] .

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَقَ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦، ٧].

وما أسعد المسلم، حين تعتدل أمامه مسالك الحياة، فيعمل ويتصعب منه عرقه، فيزيكه ذلك العرق ويظهره من فضلات الكسل وجمود النفس، ويكسب الكسب الحلال الطيب، وتستقيم يده، وهي تنفق من هذا الكسب الكريم، ويدخر لنفسه، ما يحتاج إليه في غده. قال رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عائلة يتكفون الناس» [متفق عليه]، وقال ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت» رواه أحمد ومسلم بنحوه.

أيها الناس:

نعق كذا ناعق فزعموا بحماقة وصفافة أن الإسلام لا يريد من أهله إلا أن يكونوا فقراء صاغرين، ويقولون ضالين إن الله إذا أعطى الدنيا لأحد حرمه من الآخرة، ويستشهدون بقول القائل:

إن الفقيه هو الفقير وإنما راء الفقير تجمعت أطرافها

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

والواقع أيها المسلمون أن تلك فرية عظيمة، تنسب إلى الإسلام وهو منها براء، بل إن الإسلام هو الذي يحرض علي الكسب والنشاط، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فالؤمن ليس درويشاً في معتكفه، أوراهاً في ديره. لا عمل له ولا كسب، الإسلام لا يعرف المؤمن إلا كادحاً عاملاً، مؤدياً دوره في الحياة، أخذاً منها معطياً لها ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن

رَزَقَهُمُ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿ [الملك: ١٥]. ﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١]، ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧].

وقد رأى الفاروق رضي الله عنه قوماً قابعين في ركن المسجد بعد صلاة الجمعة، فسألهم من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون على الله، فعلاهم عمر بدرته ونهرهم وقال: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول اللهم أرزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وإن الله يقول: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠].

وإن كان الفاروق رضي الله عنه، يشكو من متوكلين لا يعملون، ففي حياتنا المعاصرة نشكوا من الأمرين معاً، من متوكلين لا يعملون، ومن عاملين لا يتوكلون.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن متوكلون، فيحجون فيأتون إلى مكة فيسألون الناس، فأنزل الله: ﴿ وَتَكَزُّوْهُمْ وَأِفَّاكٌ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى ﴾ [البقرة: ١٩٧]، قال محمد بن نور: كان سفيان الثوري يمر بنا ونحن جلوس بالمسجد الحرام، فيقول: ما يجلسكم؟ قلنا: فما نصنع؟ قال: اطلبوا من فضل الله، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين.

وسأل رجل أحمد بن حنبل فقال: أخرج أحدنا إلى مكة متوكلاً لا يحمل معه شيئاً؟ قال: لا يعجبني فمن أين يأكل؟ قال: يتوكل فيعطيه الناس، قال: فإذا لم يعطوه أليس يتشرف حتى يعطوه؟ لا يعجبني هذا، لم يبلغني أن أحداً من أصحاب النبي ﷺ والتابعين فعل هذا، ولكن يعمل ويطلب ويتحرى.

قال رسول الله ﷺ: « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً » رواه أحمد والترمذي وهو صحيح.

وهذا الحديث أخطأ القعدة في فهمه، فإن الطيور لم يأتها رزقها رغداً إلى أوكارها، وهي قابعة في أعشاشها، وإنما غدت في الصباح سعياً في طلبه، فراحت في المساء وقد شبعت من رزق الله تعالى وفضله.

أيها المسلمون:

إن من المتحتم عقلاً أنه لا يدعو المسلمين إلى المسكنة والافتقار والانتكال في القوت على الغير، أو يصف الإسلام بالحض على ذلك إلا أحد اثنين؛ إما جاهل بالدين الحنيف يحسبه رهبانية مبتدعة، أو تبتلاً مسرفاً، وإما مخادع ماكر له في تلك الدعوة مآرب خبيثة، فهو مطعون النصيحة، خبيث الغاية، كيف لا، ورسول الله ﷺ يقول: « تعوذوا بالله من الفقر والقلة، والذلة » [رواه أحمد]، ويقول ﷺ: « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر » [رواه أحمد وغيره].

إن الشيطان بحيله ومكره يخوف المؤمنين من كسب المال، فينفر طالب الآخرة منه، ويبادر التائب يخرج ما في يده، فإذا أخرجوا ما بأيديهم بذلوا أول السلع في التحصيل، دينهم وعرضهم. ويصيرون متمندين به، ويقفون في مقام اليد السفلى التي هي الدون، والعاقل من الناس من يسعى لكسب ماله وحفظ ما معه، لينجو من مداراة غني ظالم، أو مداهنة بطر جاهل. وقد تعرض نواب كالمريض يحتاج فيها إلى شيء من المال فلا يجد الإنسان بدأ من الاضطراب في طلبته، فيبذل عرضه أو دينه.

إن الإسلام، يريد من أهله أن يكونوا أغنياء أقوياء، لا مهازيل ضعفاء،

نعم المال الصالح للرجل الصالح

أغنياء بمالهم ليكون سياجاً للدين ، ومدداً لتسليحه وحمايته ، فقد قال تعالى في قيمة المال ، لإحراز النصر ورفع الشأن : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [الإسراء : ٦] .

فإن الأمم تنتصر بعد توفيق الله ، بالمال والبنين ، ويوم يكون مالها أداة ترف ، ومصدر استعلاء وطغيان ، ويوم يكون به الأغنياء أحلاس لهو ولعب ؛ فالويل والخسران لأمة ، أورثها مالها هذه الحال . أعاذنا الله وإياكم من حال أهل النار .

أيها المسلمون :

بالمال الحلال ، استطاع المهاجرون إلى المدينة أن يزاحموا اقتصاد أهل الكتاب ، وأن يجعلوا المال مالاً إسلامياً ، وهذا بحد ذاته له خطورته الظاهرة في كسب النصر للدين نفسه ، فإن الإقتصاد في الأمم يوم تعبت به أيادي من لا ملة لهم ولا شرف ؛ فإنهم يسخرونه ولا شك في ضرب الملة السمحة ؛ ولذلك كان الإسلام شديد الحظ على أن ينطلق المؤمنون في المشارق والمغرب يكسبون رزقهم ويطلبون من فضل الله ، في فجاجة العميقة ، هنا وهناك ، أو المخبوءة تحت طباق الثرى ﴿ وَلَقَدْ مَكَتْكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٠] .

إن المتبطلين العاطلين ، المكتسبين البطالة بالزمالة ، يعتمدون على من سواهم ، ويستغلون عرق غيرهم ، فهم كدود العلق الذي يمتص الدماء ، يحملقون إلى مواضع المحسنين ، قد قضوا على أنفسهم أن يعيشوا مرضى بالصحة ، مشغولين بالفراغ ، أغنياء بالفقر ، ولقد قال المصطفى ﷺ : «اليد العليا خير من اليد السفلى» [رواه البخاري ومسلم] .

قال ابن قتيبة رحمه الله : اليد العليا هي المعطية ، فالعجب عندي ، من

قوم يقولون هي الآخذة ، ولا أرى هؤلاء القوم ، إلا قومًا استطابوا السؤال ، فهم يحتجون للدناءة ، فأما الشرائع فإنها بريئة من حالهم .
عباد الله :

لما فقد المال الصالح ، من يد الرجل الصالح بليت المجتمعات - إلا من رحم الله - بطائفتين منحرفتين :

الأولى منهما : هي طائفة الأثرياء المترفين ، الذين ضعف عند بعضهم الخلق والدين ، واستخفوا بقواعد الإيمان ومبادئ الإسلام ، يأكلون كما تأكل الأنعام ويشربون شرب الهيم ، دون أن يؤدوا واجباً لدينهم أو مجتمعهم ، يتعاملون في الشرف على أصول من المعدة ، لا من الروح ، وإذا عظموا الدينار والدرهم فإنما عظموا النفاق والطمع والكذب ، إذ إن حرصهم فوق بصيرتهم ، ولهم في النفوس رائحة الخبز ، ديدنهم في مقاييس البشر : خمس وخمس تساوي عشرة ، وسجاياهم المتكررة ، منع وهات ؛ بل هات وهات ، لكنهم مع ذلك لا يجدون في المال معنى الغنى ، إذ كم من غني يجد وكأنه لم يجد إلا عكس ما كان يجد .

والطائفة الثانية : طائفة المفلسين القعدة الذين استمرأوا الكسل والبطالة والتشرد ، دون مال يملكونه ، أو عمل يؤدونه ، ومع ذلك يطلقون لأنفسهم العنان في مباءات من الانحلال والمعاصي ، فيجمعون بين السوأيتين ؛ ضلال وإفلاس قبيحين .

إن الذين يكسلون ولا يربحون ثم يتسولون أو يحتالون باسم التكبس أو العيش ، ليسوا على سواء الطريق ، والذين يحبون المال حباً جماً ، حتى يعميهم عن دينهم وأخلاقهم وخلواتهم القلبية وجلواتهم الروحية ، ليسوا على سواء الطريق أيضاً ، إذ كلا طرفي قصد الأمور ذميم ، وخير الأمور

الوسط ، والوسط ما قاله رسول الهدى ﷺ : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » [رواه أحمد].

فرحم الله عبداً كسب فتطهر ، واقتصد فاعتدل ، وذكر ربه ولم ينس نصيبه من الدنيا . ويا خيبة من طغى ماله عليه ، وأضاع دينه وكرامته ، وكان من الذين قال الله فيهم : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ [الجمعة : ١١].

عباد الله:

إن المال غاد ورائح ، ومقبل ومدبر ، وما هو إلا وسيلة للإنفاق والبذل ، كما قال رسول الله ﷺ : « أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى » [رواه البخاري ومسلم].

ولا يليق بالرجل القادر ، أن يرضى لنفسه ، أن يكون حملاً على كاهل المجتمع ، ثقيلاً مردولاً ، وأن يقعد فارغاً من غير شغل ، أو أن يشتغل بما لا يعنيه ، إن هذا لمن سفه الرأي ، وسذاجة العقل ، والجهل بأداب الإسلام ، قال عمر رضي الله عنه : « إنني أرى الرجل فيعجبني شكله ، فإذا سألت عنه فقيل لي : لا عمل له ، سقط من عيني ».

إن العمل ، مهما كان حقيراً فهو خير من البطالة ، وخير من سؤال أحد من ذوي المال ؛ إن أعطاه فقد حمل ثقل المنة مع ذلك السؤال ، وإن منعه فقد باء بذل الخيبة مع ذل السؤال والعز بلا سؤال ، ألد من كل لذة بسؤال ، والخروج عن ربة المنزل ولو بسف التراب أفضل ، وإن نفس الحر لتحتمل الظما ، حتى لقد قال الفاروق رضي الله عنه : « مكسبة في دناءة خير من سؤال الناس ».

ولقد قال لقمان لابنه : « يا بني : استغن بالكسب الحلال ، فإنه ما افتقر

أحد إلا أصابته إحدى ثلاث خصال: رقة في دينه، أو ضعف في عقله، أو وهاء في مروءته وأعظم من هذا، استخفاف الناس به .

ولا خير في نيل من ماله عزيز النوال بذل السؤال .

وصلوات الله على المبعوث رحمة للعالمين حيث يقول : « اللهم إني

أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، وغلبة الدين وقهر الرجال»

[أخرجه النسائي وأبو داود] « اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بشس الضجيع»

[أخرجه النسائي وأبو داود] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه .

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الإسلام رغب في العمل والكسب الحلال، والاتجار في جمع المال؛ فقد سئل رسول الله ﷺ: أي الكسب أفضل قال: « عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » رواه الطبراني وهو صحيح وقال ﷺ: « ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله

داود كان يأكل من عمل يده « رواه البخاري . وثبت عنه ﷺ في صحيح مسلم أنه قال : « كان زكريا عليه السلام نجاراً » .

وروى الترمذي وابن ماجه بسند حسن عن النبي ﷺ أنه قال : « التاجر الصدوق الأمين، مع النبيين والصديقين والشهداء » .

ومر رجل على النبي ﷺ فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: « إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان» رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح .

ولقد كان أبو بكر رضي الله عنه أتمجر قريش ، وكان الفاروق رضي الله عنه يقول : « يا أيها الناس كتب عليكم أن يأخذ أحدكم ماله فيبتغي فيه من فضل الله عز وجل ، فإن فيه العبادة والتصديق ، وأيم الله ، لأن أموت في شعبتي رحلي ، وأنا أبتغي بمالي في الأرض من فضل الله ، أحب إلي من أموت على فراشي » .

وما قتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه حتى بلغت غلة نخله مائة ألف . وقال عبد الرحمن بن عوف : « يا حبذا المال ، أصون به عرضي ، وأتقرب به إلى ربي » .

ثم اعلمو ارحمكم الله : أن البطالة من أخطر المشاكل الاجتماعية وأسوأها عاقبة ، وأشدّها تأثيراً على طمأنينة الحياة وهناءة العيش ، وهي رقية التسول والسرقة والغش والخداع .

والإسلام ، نظر إلى المكلف نظر اعتبار ، حيث دعاه إلى نزول ميادين العمل على أنواعها ، إما مأجوراً ، أو حراً مستقلاً ، أو مشاركاً في المال إن استطاع . فإذا صاحب ذلك كله ، صدق وأمانة ، وإخلاص وتوكل ، كان له النجاح والربح والبركة والنماء بإذن الله .

هذا وصلوا ارحمكم الله على خير البرية وسيد البشرية .

* * *

ربيع القلوب

الخطبة الأولى

الحمد لله هادي العباد، الرقيب على خلقه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، أحمده سبحانه حمد عبد وخافه رجاءه، وأشكره، والشكر واجب على العبد لمولاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ند له في جلاله وكماله وعلاه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صفوة الخلق، وأفضل الهداة إلى صراط الله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على طريقه واتبع هداه.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، التي هي الزاد وبها المعاد، زاد مبلغ، ومعاد مُنْجِح، دعا إليها أسمعُ داع، استجاب لها خير واع، فأسمع داعيها، وفاز واعياها.

أيها الناس:

يقول جل وعلا، أمراً نبيه ﷺ: ﴿ أَنْتُمْ مَأْوَجِي إِلَيْكَ مِنَ الْكُنُوبِ

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥]. ويقول تعالى: ﴿ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ﴾ [النمل: ٩١، ٩٢]، ويقول تعالى:
﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْدُتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾
[العنكبوت: ٤٩]، ويقول عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ سَرَّنا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾
[القمر: ١٧].

عباد الله:

لئن كان شهر رمضان المبارك شهر صيام وصدقة وجود وقيام؛ فإنه
كذلك شهر القرآن والفرقان ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ
هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥]،
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]، ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾
[الدخان: ٣].

أنزل الله القرآن ، نوراً لا تطفأ مصابيحها، وسراجاً لا يخبو توقده،
ومنهاجاً لا يضل نهجه، وعزاً لا يهزم أنصاره، فهو معدن الإيمان، وينبوع
العلم، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، جعله الله رياً
لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ودواء ليس بعده داء، هو حبل الله
المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما
بعدكم، وفصل ما بينكم، هو الحق ليس بالهزل، بالحق أنزله الله، وبالحق
نزل، من عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط
مستقيم، من طلب الهدى منه أعزه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله
الله، يرفع الله به أقواماً ويضع آخرين، ويأتي يوم القيامة شفيحاً لأصحابه،
قال عنه المصطفى ﷺ: « من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة،
والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم
حرف » [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

أيها الناس:

إن كتاب الله عز وجل بمثابة الروح للحياة والنور للهداية، فمن لم يقرأه ويعمل به فما هو بحي وإن تكلم أو عمل أو غدا أو راح؛ بل هو ميت، ومن لم يؤمن به ضل وما اهتدى، وإن طار في السماء أو غاص في الماء ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

إن الإنسان بلا قرآن كالحياء بلا ماء ولا هواء، بل إن الإفلاس متحقق في حسه ونفسه، ذلك أن القرآن هو الدواء والشفاء ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَءَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرُونَهُ وَعَلَيْهِمْ عَمَى﴾ [فصلت: ٤٤].

شفاء للقلوب والأبدان. شفاء للمرء وأنيس، كلما ضاقت أمامه مسالك الحياة وشعابها، وافتقد الرائد عند الحيرة، والنور عند الظلمة، يجد القرآن، خير جليس لا يمل حديثه، وترداده يزداد فيه تجملاً وبهاء، وبه تنضبط النفس المترددة أمام الزوابع والأعاصير، فلا تغرق في لجة المهالك، ولربما ضاقت بالمرء الضوائق، ومارت في وجدانه المخاوف، ويشده ألمه، فلا يجد إلا أن ينشد راحته في بضع آيات من القرآن يرددها ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَّاءً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩].

يقرأ المسلم القرآن، فإذا بالسكينة والطمأنينة، يعمران قلبه وجوارحه، ثم

تقدم النفس بعد ذلك لا تبالي ما يحدث لها وهي تقرأ قول ربها: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة: ٥١].

وبذلك تتبخر وساوس السوء، ووساوس الضعف، ويظهر للنفس أن الإنسان مبتلى بالأوهام أكثر مما يتلى بالحقائق، وينهزم من داخل نفسه قبل أن تهزمه وقائع الحياة ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [٧٣] فَأَنْقَلِبُوا نِعْمَةً مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلْ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥].

عباد الله:

لا يعرف مظلوم تواطأ الناس على ظلمه وزهدوا في إنصافه كالقرآن، فله ما أقل عارفه، وإن أهدنا لو ذهب يبحث عن العاملين بما فيه بحق وصدق في أغلب ما يرى ويسمع، لأعياء طلابه.

اتخذ الناس هذا القرآن مهجوراً، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير؛ صحف ومجلات، وحكايات وثقافات، تموج بها الدنيا صباح مساء ﴿ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [يونس: ٣٦].

إن المرء المسلم ليعجب، من مواقف كثير من الناس أمام كتاب الله تعالى، وقد أحاط بهم الظلام من كل جانب، فيتخبطون فيه خبط العشراء، أفلست النظم، وتحطمت كثير من المجتمعات، وتدهورت القوميات والعالميات، وأنتنت الحريات اللادينية المزعومة، فالعجب كل العجب، أن يكون النور بين أيديهم، ثم هم يلحقون بركاب الأمم الكافرة في كل نهج ومسلك، فلا يستطيعون سبيلاً إلى الهداية.

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

والواقع أيها المسلمون: أن أهل الكفر والإلحاد أشغلوا المسلمين عن نورهم وأبعدوهم عن مصدر العزة، وأغروهم بطيف أنوار زعموها في السياسة تارة، وفي العلوم الدنيوية أخرى، وثالثة في المال والقهر والجبروت، ورابعة في الغزو الأخلاقي والثقافي، المترجم عبر وسائل متناثرة تتلفها أقطار المسلمين ومجتمعاتهم إلا من رحم الله .

﴿ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧].

لقد قصر جمع من المسلمين مع كتاب ربهم، حتى إن الواحد منهم ليختم القرآن كله ثم يخرج منه بمثل ما دخل فيه ما فهم من معانيه شيئاً .

ولقد قصر جمع من المسلمين مع القرآن، حتى قصروا برهم به على أن تتقن مخارج حروفه فحسب، وتفتتح به البرامج وتغلق، معقوباً بصخب وعطب، من أغان ماجنة، ومشاهد مضللة، ويردد في المآثم، ويعلق في المجالس، ويسأل به المال والجاه، ويعلق تيممة على الرقاب، أو يلصق بالصدر .

قال الفاروق رضي الله عنه: « يا أيها الناس إنه أتى علي حين وأنا أحسب أنه من قرأ القرآن، إنه إنما يريد به الله وما عنده، ألا وقد قيل لي إن أقواماً يقرءون القرآن يريدون به ما عند الناس، ألا فأريدوا الله بقرءتكم، وأريدوه بأعمالكم » أهـ .

فله كم من قارئ يقرأ القرآن والقرآن يلعنه، وكم من ظالم أفاك، متجبر يقرأ القرآن فيلعن نفسه ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ١٨].

﴿ فَتَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١].

أيها المسلمون:

ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده؛ وأقرب إلى نجاته وسعادته، من تدبر القرآن وإطالة النظر فيه وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معاني الخير والشر، وعلى حال أهلها، وتريه صورة الدنيا في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، فيرى غرق قوم نوح، ويعلم صاعقة عاد وثمود، ويعرف غرق فرعون وخسف قارون، بتدبر القرآن، يعيش المرء مع الآخرة حتى كأنه فيها، ويغيب عن الدنيا حتى كأنه خارج عنها. فيصير في شأن والناس في شأن آخر ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

لقد أنزل الله القرآن من فوق سبع سموات للتدبر والتعقل، لا للمجرد تلاوته والقلب لاه غافل ﴿ كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩].

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

[النساء: ٨٢].

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

قال الحسن البصري رحمه الله: أنزل القرآن ليتدبر ويعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً.

عباد الله:

يقول الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ

وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُتِنُوا فَمَنْ فُتِنُوا فَأَبَدُوا ﴿١٦﴾ [الحديد: ١٦].

يقول ابن مسعود رضي الله عنه : « ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين » .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن » .

فما بال قلوبنا يا عباد الله!! ما هذه القسوة عند تلاوة كلام الله؟! ما هذه الأقفال التي على القلوب؟ مواعظ تتلى، وعبر تسمع، وسور تقرأ، ولكنها تدخل من اليمنى وتخرج من اليسرى. من منا بكى عند قراءة الحاقة، ومن ارتجف حين سمع الزلزلة؛ ومن تاب يوم أن قرأ القيامة، ما هذا الران الذي على القلوب، أفقدت قلوبنا من حجر؟! أما إنه لو أنزل هذا القرآن على جبل لخشع وتصدع من خشية الله. ولكن قست القلوب ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤]. أعاذنا الله وإياكم من القسوة والغفلة .

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا، وسائقاً ودليلاً إليك وإلى جناتك جنات النعيم .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيا أيها الناس ، يقول الله جل وعلا : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر : ٢٣] .

وأيم الله ، لقد كان خوف المصطفى ﷺ ، وخشوعه وبكاؤه عند قراءة القرآن لا يوصف ولا يجاري ؛ فقد صح عنه ﷺ ، أنه كان يصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء [رواه أبو داود والترمذي] .

وثبت عند الترمذي والحاكم على شرط البخاري ووافقه الذهبي ، أنه ﷺ قال : « شيبتي هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت » .

وقد قرأ عليه ابن مسعود رضي الله عنه سورة النساء فلما بلغ قول الله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] . قال : حسبك الآن ، فإذا عيناه تذر فان . [متفق عليه] . بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه .

وقد قال مرة لعائشة رضي الله عنها : « يا عائشة ذريني أتعبد لربي » ، قالت : قلت : والله إني لأحب قربك ، وأحب ما يسرك : قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلي ، فقرأ القرآن ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت

حقويه ، قالت : ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت حجره ، قالت ثم اتكأ على جنبه الأيمن ووضع يده تحت خده ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الأرض ، فدخل عليه بلال فأذنه بصلاة الفجر وقال ما يبكيك ؟ قال : لقد نزلت علي الليلة آيات ويل لمن يقرأها ولم يتفكر فيها ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠] . [رواه ابن حبان بإسناد جيد] .

وكان أبو بكر الصديق رجلاً أسيفاً لا يستطيع القراءة من كثرة البكاء ، وقد خرج الفاروق رضي الله عنه ليلة يعس ، فسمع قارئاً يقرأ : ﴿ وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكُنُوبٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾ [الطور : ١-٨] ، فقال رضي الله عنه : « قسم حق ورب الكعبة » وخر مغشياً عليه فحمل إلى بيته وبقي مريضاً ثلاثين يوماً يعودُه الناس .

بل إن القرآن أيها المسلمون ، كان يصل إلى قلوب الكافرين وهم أبعد خلق الله عن الله وعن كتاب الله ، فهذا عتبة بن ربيعة ، وهو من المشركين ، استمع إلى قراءة النبي ﷺ من سورة فصلت ، فلما قام عتبة إلى أصحابه قال بعضهم لبعض : نحلف بالله ، لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . ثم قال لهم : قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ولا بالكهانة .

وما كان من النجاشي وقومه حين سمعوا سورة مريم ، يقرأها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه إلا أن فاضت أعينهم من الدمع ، فأنزل الله فيهم : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة : ٨٣] .

الله أكبر . هذا كلام رب البشر، أدهش العقول، وأبكى العيون، وأحيا القلوب والأفئدة، وطأطأت له رؤوس أهل الكفر، بل لقد أدهش الجن وحرك ألبابهم، حين سمعوه من المصطفى ﷺ، وكادوا يكونون عليه لبدًا ﴿ قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ سَمِعَ نَفْرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ، وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: ١، ٢].
أيها المسلمون:

ذلكم هو واقع القرآن مع الناس، مؤمنهم وكافرهم، وكذا مع جنهم . وهذا كتاب الله يتلى فيه بين أظهركم ويسمع، ومع هذا قلت العيون التي تدمع، والقلوب التي تخشع، عيون خلت من الدمع، فهي خراب بلقع، تتلى آيات الله، فلا الشاب منا ينتهي عن الصبوة، ولا الكبير منا يلتحق بالصفوة، ولقد فرطنا في كتاب ربنا في الخلوة والجلوة . . وصار بيننا وبين الصفاء، أبعاد ما بين الصفا والمروة فلا حول ولا قوة إلا بالله .
هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية .

* * *

وافق شن طبقه
(في التشبه بالكفار)

الخطبة الأولى

الحمد لله، أمر بالتحلي بالفضائل، ونهى عن الوقوع في مهاوي النقائص والرزائل، لا إله إلا هو العليم الحكيم ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

نشكره تعالى ميز لنا القبيح من الحسن، ونلجأ إليه سبحانه مما نزل بنا من البلياء والفتن، ونعوذ بالله من التقليد والتشبه في سبب الأخلاق وقبائح البدع والعادات، وأشهد أن لا إله إلا الله، هداانا بالإسلام إلى خير وسائل السعادة، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، فتح الله لنا بستانه أبواب الرقي والسعادة، اللهم صل وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه، أولي الرأي والفكر والنجابة، وعلى من سار على طريقهم واتبع نهجهم إلى يوم القيامة.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوه في السراء والضراء، وفي الخلووات والجلوات، اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون.

أيها الناس:

إن الناظر المتأمل، في تاريخ الأمم والشعوب، ليعجب أشد العجب، ولتأخذه الحيرة أخذاً مسرعاً، لما يظهر له مما يطرأ على الأمم والشعوب، من التغيرات والتقلبات، أمة قائدة رائدة، دهوراً مديدة من الزمن، تعثر ركابها فسقطت رايها، فإذا هي في مهاوي التقليد الأعمى، تتبع آثار الأمم سواها في كل نهج وسلوك، بينما هي أمة في أعلى مراقي الحياة، وأوج العزة والقوة، إذا هي تتدهده في الحضيض الأوهده، والشقاء المؤصد، تموت بعد حياة، وتسفل بعد علو، وتذبل بعد إزهار.

كانت قد وردت مناهل هذا العلم، وتلك الحضارة الإسلامية البريئة، فصدروا عنها بلاء سجلهم، وأجلبوا عليها بخيلهم ورجلهم، إلى أن خرج عنهم المفتاح فكأن الباب أغلق دونهم، وظهر من مشكاة الغرب مصابيح محرقة، فكأنما حيل بينهم وبين مصدر الرفعة الأسبق، وتسلبت على عضدهم لسان من يعرف « من أين تؤكل الكتف ». فأخذ المسلمون عنهم رسوماً هي من حضارتهم مسترقة، وعلقوا أشنانهم بطبقاتهم، فوافق شن طبقه، فيا لها من غنيمة باردة، لم يوجف عليها من خيل ولا ركاب، ولم يزحف إليها بعدو عيديه، ولا بلحاق لاحق، وانسكاب سكاب^(١).

أيها المسلمون:

المقلد المحاكي لأهل الكفر والشرك إنما هو أذن وعين ولسان وقلم لتهجهم وفكرهم، يصلح بإفساد، ويداوي الحمى بالطاعون، فهو كغاسل الحيض بيول أغيرا ويعمل بتبعيته المهزومة ما يشبه قطع ثدى الأم، وهو في

(١) لاحق وسكاب فرسان للعرب مشهوران، والعيديه هي النوق النجائب، منسوبة إلى بني العيد.

شفتي رضيعها المحضون . وما علم هذا الغر وأمثاله أن التقليد الأعمى للغرب ، فيه ألغام مخبوءة ، وأن حقوقنا ومروءاتنا مقتولة بتقليد أعمى ، وغرور بليد .

أيها المسلمون:

قال رسول الله ﷺ : « لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلموه ، قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ » [رواه البخاري ومسلم] .

وللبخاري عنه ﷺ أنه قال : « لا تقوم الساعة ، حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، قيل : يا رسول الله ، كفارس والروم ؟ قال : ومن الناس إلا أولئك » .

فأخبر ﷺ أنه سيكون في أمته ، مضاهاة لليهود والنصارى وهم أهل الكتاب ، ومضاهاة لفارس والروم وهم الأعاجم .

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِمَخْلَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِمَخْلَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ [التوبة : ٦٩] .

قال ابن عباس رضي الله عنه : « ما أشبه الليلة بالبارحة هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم » .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمياً وهدياً ، تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة ، غير أنني لا أدري أتعبدون العجل أم لا ؟ » .

عباد الله:

لقد كان النبي ﷺ ينهى عن التشبه بهؤلاء وهؤلاء، وليس هذا إخباراً عن جميع الأمة؛ بل قد تواتر عنه ﷺ أنه لا تزال طائفة من أمة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة.

فالمسلمون هم أهدى الناس طريقاً، وأقومهم سيلاً، وأرشدهم سلوكاً في هذه الحياة. وقد أقامهم الله تعالى مقام الشهادة على الأم كلها ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وإن هذا المقام، مقام عزيز كريم، كيف يتناسب معه أن يكون المسلمون أتباعاً لغيرهم من كل ناعق، يقلدونهم في عاداتهم، ويحاكونهم في أعيادهم وتقاليدهم، ورسول الله ﷺ نهى المسلمين جميعاً أن يتلقوا عن أهل الكتاب، فعن جابر أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه، فغضب وقال: «لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني» رواه أحمد وابن أبي شيبة.

إن الله تعالى، جبل بني آدم، بل وسائر المخلوقات، على التفاعل بين الشيين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر، كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتى يؤول الأمر إلى ألا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط، ولأجل هذا الأصل، وقع التأثير والتأثير في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاركة، بل إن الآدمي إذا عاش نوعاً من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه؛ ولهذا صار الخيلاء والفخر في أهل

الإبل، وصارت السكينة والوقار في أهل الغنم، وصار الجمالون والبغالون، فيهم أخلاق مذمومة من أخلاق الجمال والبغال، وصار الحيوان الإنسي، فيه بعض أخلاق الناس، من المعاشرة والمؤالفة وقلة النفرة.

وإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم؛ لأن المشابهة والمشاكله في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكله في الأمور الباطنة، على وجه المسارقة والتدرج الخفي، وهذا ما يشهد به الواقع، فضلاً عن بيان الشرع وموافقة العقل، وقديماً قيل: «الطيور على أشكالها تقع»، وهذا مثل صحيح، يوافق سنة الله في خلقه، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «من تشبه بقوم فهو منهم» [رواه أحمد وأبو داود].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد رأينا اليهود والنصارى، الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفراً من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشره اليهود والنصارى، هم أقل إيماناً من غيرهم ممن جرد الإسلام.

عباد الله:

إن التشبه بأهل الكفر والشرك في أزيائهم، وعاداتهم، وأحكامهم، وسياساتهم، واقتصادهم، قد جرى في كثير من أوساط المسلمين جريان الدم في العروق، وسرى سريان النار في يابس الحطب، بل ولربما صار المتفرنج المحاكي موضع إجلال الدهماء وإكبارهم، يحتذيه لهازم الناس وأغرارهم، حتى يساير ذلك كله الغوغاء من أبناء هذه الأيام، مترفهم ومثقفهم، بل وحتى من كان على فراش الإملاق منهم. أف للتقليد والتبعية، ما أثقل أغلالهما، وما أشد عتمة مسالكهما، وما أبخس صفقة الذين لا يتزحزون عنها.

نعم، أف ثم أف، للتقليد ومسايرات الغرب، فكم أوقفت بعض الأجيال في سجون ضيقة مظلمة، من التبعية الماحقة، وحجبت عنهم أنواع التفكير والتبصر والعزة، وغممت عليهم مطالع السعادة الحقيقية للنفوس .

أف ثم أف، للتقليد والتبعيات، فهي قاطعة الطريق على نتائج العقول، تزج بها في مهاوي العدم، أو تذرهما في سجن أقفر، ممنوعاً عنها كل ما يحييها .

إن الأمة المسلمة يجب أن تكون متبوعة لا تابعة، وقائدة لا منقادة، ويجب ألا تغتر بما تراه من زخرف الحياة في أمة تقطعت روابطها، وانفصمت عراها ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١].

وإن حضارة الغرب، كالسراب، الذي يرى في القيعان من الأرض عن بعد، كأنه بحر طام ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَخَسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فُوقَانَهُ حِسَابًا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩].

ألا فليعلم الضعفاء والمغفلون منا، الذين يحاولون في تبعيتهم أن يؤلفوا الأمة على خلق جديد، ينتزعونه من المدنية الغربية، ألا فليعلموا أن الخلق الطارئ لا يرسخ بمقدار ما يفسد من الأخلاق الراسخة، وإذا كان البعض يشعر في قرارة نفسه أنه لا بد للأمة في نهضتها من أن تتغير، فإن رجوعنا إلى كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، أعظم ما يصلح لنا من التغير، وما يصلح به منه ﴿ إِنْ أَلَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [الرعد: ١١].

إننا إذا أخذنا في أسباب القوة، وتمثلت فينا الأخلاق المتينة، من الإرادة

والتقوى والإقدام، والحمية الإسلامية، وإذا جعلنا لنا صبغة خاصة تميزنا عن سوانا، وتدل على أننا أهل دين وخلق - إذا كان ذلك كله، فلعمر الله، أي ضير في ذلك كله، وهل تلك إلا الأخلاق الإسلامية الحقة، وهل في الأرض نهضة ثابتة تقوم على غيرها، ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨]. ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وأما أن نأخذ من الغرب الكافر عادات وطبائع أجنبية عن ديننا، فلنتذكر أن الإسلام إسلام، وأن الكفر كفر، وأن القوم في نصف الأرض، ونحن في نصفها الآخر، ولقد كنا سادة قبل أن كانت هذه العادات الغربية التي رأينا فيها ومن أثرها في المجتمعات المسلمة الحرة ما أفسد رجولة بعض رجالها وأنوثة بعض نساءها خاصة، لأنهن يندفعن اندفاعاً محموماً وراء المجهول، في حلبة التقليد الأعمى، لقد راعهن من الغرب بريق مصانعه وطرافة منتجاته، فرضين بالسير وراء الهابطات من نساءه، حتى أصبحن لا يرضين عن أثوابهن إلا بمقدار انطباقها على نماذجهن، الواردات في أزياء نساء الغرب وأشباههن، فإذا رأيت ثوب إحداهن كاسياً يستر بعض العورة، فاعلم أنه صورة من ذلك النموذج الجديد. قال عنهن المصطفى ﷺ: « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لللب ذي اللب من إحدكن » [رواه البخاري ومسلم].

ولما أنشده الأعشى أبياته التي يقول فيها: « وهن شر غالب لمن غلب » جعل النبي ﷺ يرددتها ويقول: « وهن شر غالب لمن غلب » [رواه أحمد]. ولذلك امتن الله على زكريا عليه السلام حيث قال:

﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُمُ زَوْجَهُ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وقال: ﴿ فَأَصْلَحْتُ قَنِينَتُ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [النساء: ٣٤].

أيها المسلمون:

إن القيود التي يفرضها الدين على الإنسان، لا يريد بها عذابه ولا حرمانه، إنما يريد بها أن يرتفع بها من الحيوانية الهابطة، إلى الإنسانية الصاعدة، وبذلك ينتصر المسلم على التبعية التحررية، ويتغلب الإيمان والتقوى على الشهوة البهيمية السبعية، وإن كل مجتمع يخرج على هذه القيود أو يهون من شأنها، فإنه يعرض نفسه للخطر ويقرب بها من حافة الهاوية ﴿ وَمَنْ يَنْعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغيرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد :

فاتقوا الله أيها المسلمون واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله ، وخير الهدي ، هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور ما أحدث على غير هدى من الله ، أو سنة سنّها محمد بن عبد الله ، فلقد نهى - بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه - عن كل ما يفضي إلى مشابهة الكفار ، حتى لقد قال اليهود عنه : « ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه » [رواه مسلم] .

وقد نهى ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه « عن الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس ، ونهى عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ، وعلل ذلك بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار » .

ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله تعالى ، وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان ، ولا أن الكفار يسجدون لها ؛ ومع ذلك فقد نهى عن الصلاة في هذا الوقت ، حسماً لمادة المشابهة بكل طريق .

وعليه فمشابهة أهل الكتاب والكفار من الأعاجم ونحوهم لا بد أن تورث عند المسلم نوع مودة لهم ، أو هي على الأقل مظنة المودة ، فتكون

محرمة من هذا الوجه، سداً للذريعة، وحسماً لمادة حب الكافرين، والولاء لهم، فضلاً عن كونها محرمة من وجوه أخرى، بالنصوص الشرعية الواردة وغيرها.

وإننا لندرك بوضوح أن فئاماً ممن يتشبهون بالكفار، في لباسهم أو سلوكهم أو عاداتهم، أو يتكلمون بلغتهم، أنهم تميل نفوسهم إلى حبهم وتقديرهم والإعجاب بهم ومن هنا ينجح أهل الكفر، في أن يروجوا بين المسلمين دعوات مدوية يكون لها رجع الصدى في بعض النفوس المريضة إلى حضارات عالمية، وزمالات أديان، تهدف إلى إذابة الشخصية الإسلامية، حتى إن المتنكر لهم، يسمى انعزالياً وانطوائياً، بل ورجعياً ضيق الأفق، معزولاً عن العالم، يجب أن يموت في مهده زعموا.

فما المانع عندهم إذن من أن تصلصل النواقيس، بجانب المآذن المدوية الله أكبر الله أكبر، وما المانع عندهم أن تتعانق الأديان على أرض جزيرة العرب، ناسين أو متناسين قول المصطفى ﷺ: « لا يجتمع في جزيرة العرب دينان » [رواه مالك وأحمد بنحوه].

﴿ وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء: ٨٩].

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٦	خواطر بين يدي الخطيب
٢٣	التوحيد أولاً لو كانوا يعلمون
٣٣	الحج والأمن
٤٢	انبثق الوليد [رمضان]
٥١	المدافعة بين الإسلام والكفر
٦١	آفة العصر [المسكرات والمخدرات]
٧١	اتبعوا ولا تتبدعوا
٨٢	ولذكر الله أكبر
٩٢	ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء
١٠٤	حاسبوا أنفسكم
١١٤	هادم البيوت [الطلاق]

الصفحة	الموضوع
١٢٥	لم يبق في القوس منزع [عن المشردين المستضعفين في البوسنة والهرسك]
١٣٦	المؤمن وليد وقته [في الحفاظ بالوقت]
١٤٧	القدر سر الله في خلقه
١٥٧	وداع الحج
١٦٥	الشرف الزائف
١٧٥	نعم المال الصالح للرجل الصالح
١٨٦	ربيع القلوب
١٩٦	وافق شن طبقه [في التشبه بالكفار]
٢٠٧	الفهرس

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م